على رصيف المرفأ

☆

أحمل قلبي على يدي واسير .

لقد تركتنا المدينة العربية غرباء على ابواب السور ، مشردين عند مطاف الهيكل ، نشتم من البعيد ، دخان المباخر ، وانفاس النبيذ ، ورائحة القرابين .

احمل قلبي ، في مدينة ، عابثة ، هازئة تدوس على الواح القلوب ومطالع الجباه ، وتقدس ، في الابتهال ، الجماجم الخفيفة التي ملأها الزمن باكداس الاوهام ، واشباح الغرور .

.. أمضي اشق بجناحيّ ، اجواز الفضاء ، وآفاق العباب ، ووحشة الاجمات البعيدة ، لا كرهاً بالتراب الطيب الذي نبت فيه ، ولا بغضاً بالشمس اليقظى التي سكنت اربعين خريفاً في ابراج اضوائها الكثيفة ، ولكن ولاقل دونما وجل ، هرباً من هذه الجماجم ، جماجم الكهان الذين اضاعوا رقة السمع ، ودقة البصر ، وعبقرية الكلمة ، ونبل الرجولية ، وشمم الانوف ، وروح انسان يعرف في التأمل قدر انسان على عظمة الاكبار لا رحمة الشفقة .

والمدينة التي تسقط فيها قيمة الانسان ، مثلنا ، ويصبح في ولاية العيش ، في كنف الانسان العادي المغتصب الذي لا يصلح ليكون من فواصل الكلمات في بيانه ، ولا من حبات البخور في مجامر ايمانه ، مدينة عابثة هازئة ، نزلت بها وبنا النكبة ، وسيطرت على مقدساتها الغوغاء ، وانحطت قيم الفكر المبدع لتختلج القلوب الواعية اختلاجها المضني وهج الغصات ، وانين الجراح الدامية .

والغربة ، صفة من صفات الرجولية والانتقام ، يملن فيها اصحاب الاشرعة والزوارق ، ومسالك البحار ، ان المرفأ البشري الذي رسوا فيه مرفأ عكّر البحارة ماءه . لا زرقة تحلم ، لا اعماق تسخو ، لا رصيف مطمئن يرسل من فم المنارات اشعة الهداية .

احمل قلبي على كفي وامضي .

ايها الخافق بين جنبيّ ، سافجّر من جبينك الدم ، اسقي به في كل واحة ، الطيور الغريبة والاغصان الغريبة ، والاشواك الغريبة والشواطىء الموحشة الغريبة ، والنخيل النخيل الذي احببنا اسمه ، وساقه ، وغصنه وتنزل في ضمورنا تنزل الكلمة ، فمد لنا في واحاتنا يوم العيد اصابع الشوك يدمي مقلنا ، ويخدش وجوهنا ، ويعلمنا ان نخرج من بيوتنا كرؤوس الافاعي في لهب القيظ .

لم نولد جبناء ، ولكننا تعلمنا الخوف ، وصرنا في الاسراء نظن اشباحنا اناساً يتحركون ، وقطاع طرق يعيثون . وخفنا من ان يصبح الجبن طبعاً في طبيعتنا . ليتنا لم نعط .. الهبة نكبة ..

واشد ما يؤلم انك وانت تبحر او ترسو تحمل قلبك في قبضة يدك القاسية المتمردة ، تريد ان تضرب به وجه القدر لا وجه الجبناء . والعفو وداعة من شيم الاقوياء .

المدينة العربية مدينة من غير ابداع ولا ايمان ، تكره البحر لانه دائم الحركة ، والصحراء لانها دائمة الحركة ، والنور لانه ايضاً دائم الحركة ، وتحب ليتك تعرف ما تحب ، جماجم الطواويس ، وألسنة الجداجد ، وجباهاً تمسح بالعتبة واجفاناً تتمرغ في المدارج ، وقلوباً من غير ضمائر وضمائر من غير خناجر ، وخناجر من غير الحان ، والحاناً من غير دوح ودوحاً من غير عس ، وعسساً من غير سلاح وسلاحاً من غير اخوة .

احمل قلبي واسير .

اقول للينبوع تدفق من ضلعي الشمال وللنسيم تهدّل من ضلعي اليمين ، وللغصن ، واكل غصن ، مل على الفجر ينبت فيك الربيع .

لن اشرب بعد اليوم حبة ماء من تراب وطني ، لن اكحّل عينيّ بعد اليوم بذؤابات شمسه الصاحية ، لن اسمع هذا البلبل المبكر يرتل على نافذة بيتنا الاخضر .. صدئت ادوات المحبة .. خشنت اصابع الحنان ، كل شيء في المدينة العربية قاتم ، ما اشبهها بالمقابر الواسعة التي يعيش فيها ، على اشباح الجماجم وعناقيد الدوالي الثعالب الجائعة .

شرّع رتاجك ايها المرفأ الموحش ، اننا نريد ان نغشي ، ان نقذف بوجوهنا في وجوه البحر العميق الموحش ، لقد سدت امام اعيننا ، في وطننا ، مطالع الجبال ، ومساقط الثلوج ، ومسالك الجوزاء النائية . فلنبحر ما دمنا غرباء .

الياس خليل زخريا

انغام الاحجار في سنليس

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول



في سمعي ترن انغام تتناجى بها اضواء الاصيل المشبوب حول كتدرائية سنليس .

الظلال الراقدة بين ثنايا الحجر الحي يفيض منها سيال داكن الى الظلال الجاثية عند اقدام الكستناء في الميدان المهجور .

والحبيب الحالم الساري الى جواري يجالي بلهفة عينيه الزرقاوين الى هذا الاثر القوطي المشيد في النصف الثاني من القرن الثاني عشر .

آه ! هذه سمفونية من الالوان تعزف بها اوركسترا النحوت البارزة والاقداس والسهمان ، تحت إمرة هذا المايسترو الحاذق ، هذا الهرج السامق النافذ في اللانهاية ، وسط الصمت الموحي الذي ينمو حولي دائماً كلما كنت في حضرة رائعة فنية من روائع النحت او المعمار .

أجل ! هي سمفونية من الالوان والاضواء والظلال ، وان كان لحنها القاصد leitmotif من اللون الكابي ، ذلك الذي يعلو الحجر العتيق .

عيوني حائرة بين هذه النبرات تستمع اليها في خشوع طالما استشعرته امام هذه المعابد ، وان خلت روحي من كل ايمان بما ترمز اليه ، لانها من السعة بحيث تقوى على استيعاب كل تجربة مهما كان صاحبها باخلاص ، استيعابها كلها بصدق ملؤه العطف الحار .

وهذا الوصيد الرائع ، ما هو ، هو زفرة حارة تسري فيها عذوبة ورقة وحنان وجلال .

اما العذوبة ففي وجوه اولئك الملائكة الذين جاءوا يبعثون العذراء من مرقدها .

ماتت البتول ووقف بين يدي جثمانها حواريون ، ثم جاء ملكان فصعدا بروحها الى العرش ، وفي إثرهما صفوف من الملك اتوا يستخلصون بدنها الطاهر من القبر .

على وجوه الحواريين اجمعين مسحة من الحزن الساجي الرقيق .

وفي المساحة ذات القوس المنكسر في هذا الوصيد ترى الابن يتوج الام ، وها هي ذي تجلس عن يمينه ، ناعمة بالحضرة الابدية .

ان اروع الكاتدرائيات في فرنسا كرست في العصر الوسيط للعذراء : نوتردام في باريس ، ونوتردام في شارتر ، ونوتردام في سنليس ، وغيرها وغيرها .

تأمل معي هذا الباب الغربي بكل امعان . هذا القديس يوحنا ، الحواري الحبيب ، ذو التدين المشبوب يجثو على ركبتيه عند قدمي العذراء ! ومجامر البخور يحملها نفر من الحواريين تنشر عبيرها المقدس فوق الجثمان المقدس ، وملكان احاطت بهما هالتان رائعتان يحملان روح العذراء الى السماء ، روحها هيئة طفل صغير مدثر . والعذراء راقدة على فراشها الاخير المحمول على صفوف من الاقواس المنكسرة .

ذلك موت العذراء . اما بعثها بعد ثلاثة ايام فاشد روعة . الحواريون ساهرون حول القبر . والمسيح تجلى في اليوم الثالث يحف به موكب من الملائكة ورؤساء الملائكة ، فبعث فيها الحياة . وهرع الملائكة حولها : منهم من يضع التاج على رأسها ، ومنهم من يتهيأ لحملها الى الفردوس ، ومنهم من يخلع عنها اكفانها ، او يرفعها من اكتافها .

وجوه هؤلاء الملائكة كلها جميلة . وفيها روعة التعبير وسماحة الحركة وتوثب الحياة: منها الحالم المتأمل ، ومنها الحادب العاطف ، ومنها كذلك المشرق بنبل الرسالة التي يؤديها نحو العذراء ، ملكة الملائكة . هذه ليست تماثيل من الحجر ، بل من اللحم الحي ، قد اضفت عليها اثوابها الرقيقة حياة فوق حيساة ، حتى ليخيل الى المرء انه امام لوحة زيتية ، لا امام نحت في الحجر . ولهـذا لمعت الاضواء فيها والظلال كالالوان البراقة الزاهية . وبودك ، وانت تتـأملهم ، ان تشاركهم في هذه النعمة الكبرى . وكل هذا يكشف عن عرامة العواطف الـتي كانت تجيش في نفس ذلك الفنان الصناع الذي ابدع تلك الوجوه الناضرة .

هذا وقد مضى عليها سبعة قرون ، فكيف كانت روعتها لما كانت هذه التماثيل في شبابها لم تمتد اليها يد الزمان المدمرة .

ودع الباب خطوات الى الوراء لتشاهد البرج بسهمه في كمال جلاله ، واقصد البرج الجنوبي الذي يعلو من فوقه ذلك السهم الجبار الصارخ من اعماق الارض في وجه السماء .

أقيم هذا السهم في الربع الثاني من القرن الثـامن عشر على ارتفاع من الارض يبلغ ثمانية وسبعين متراً ونصفاً ، عـلى هيئة طابقين ، الاول قفص مثمن ضخم ، ولكنه منطلق رشيق بفضل تلك الاعمدة الهيفاء التي تقوم على جوانبه ، والطابق الثاني هرمي ذو ثمانية اسطح ، وشي بزركشة وفيرة من رقائق الحجر .

هذا السهم صرخة كما قلنا ، صرخة حادة تعزف بها كمـان العشق الالهي المتقد الوجدان .

هنا عيد الرشاقة والانطلاق في موكب الاناقة والدلال . هذه التقاسيم والقويسات والاعصاب البارزة والعروق الانيقة كلها تعبر عن غنج ودلال في وجه هذه الغادة الهيفاء ، الفارعة القوام ، الـتي تدعى كاتدرائية سنليس . دلال من فرط الفتنة وسط اقليم الفالوا ، تلك الجنة التي يجري من تحتها نهر النونت Nonette . ولكنه دلال يشوبه الحياء في وجه هذا النور الباهر الذي يغمر الكاتدرائية الآن في هذا اليوم الضحيان ، فترى وردية الواجهة ترف الوانها في تهاويل جنية باركت حولها اصفى الاضواء .!

النجاء ، النجاء من هذا النور الباهر! فالجواهر الشفافة وحدها هي التي تقوى على المكث فيه ، وما انا منهـا في شيء . الآن فهمت لماذا جزع الرهبـان والقسيسون في نوتردام دي باريس ، ونوتردام دي شارتر ، فملأوا كورس هاتين الكاتدرائيتين بالنحوت التي اشاعت بعضاً من الظلمة في هذه الفراغات البلورية الشفافة التي تدعى الكاتدرائيات القوطية . من قبل كنت الومهم ، واليوم وقد شاهدت كاتدرائية سنليس صرت اجد لهم متسعاً من العذر ، فمن ذا الذي تطاوعه نفسه على البقاء طويلاً في هذا البلور الرفاف! نعم ، لقد اراد الفنان القوطي الصافي ان يحملهم ما لا طاقة لهم به حينما رغب اليهم ان يتعبدوا في امثال تلك الروائع البلورية .

والروح التي امات فكرة نحت الكوري نشداناً الواذ من فيض النور هي التي امات كذلك فكرة وضع تمثال الديك فوق سن السهمان . هي الروح الهلوع التي تفزع من صولة الخطوط . فهذا الديك القائم على سهم كاتدرائية سنليس هو تاج من العار والقبح يكلل هذا القوام السامق النفاذ . ومع هذا ، فكم اثار هـذا الديك المسكين من مناقشات بين علماء الآثار لا تزال مشبوبة الاوار ! بودي ان اختطف هذا الديك حتى استريح واريح : اريح السهم من هذه الوصمة التي جللته بالقبح ، واريح علماء الآثار مما هم فيه حوله من اختصام ، الآن استطيع ان افهم جيداً تلك الاقصوصة التي قرأتها لروائي الماني صاغها حول سرقة غلام خبيث للديك القائم فوق برج الكنيسة في قريته . فلو كنت من اهل سنليس Senlis لفعلت فعلة هذا الغلام الحاذق ، الذي ارتكب مـا ارتكب عبثاً وشيطنة . آه ! ليتني عدت صبياً شيطاناً يلهو بين طرقات سنليس !

الظلمة والنور ، والظل والحرور ، كلهـا تنافح هذا الديك المغرور ، وتتهدل بين خفايا المنظور ، من القصر المطمور حـتى الميدان المهجور .

اشرفت فوق جدار داثر من هذا القصر الروماني ، والعمال لا يزالون بسبيل الحفر والتنقيب ، حتى املأ عيوني النهمة من هذا السهم الذي ملك بشعاب نفسي ، وهنا تجلت الذويقسيات Clochetons التي توجت بها الزوايا والسطوح في كلا الطابقين ، كأنها اثمن تيجان رصعت بسلاسل من اللؤلؤ المنضد الناصع ، دون ان تؤثر في صفاء الخطوط المعمارية ، ولكم كان لمثل هذا الوشي في تلك الخطوط من صرعى ! وانا خصم لدود لكل وشي في مسطحات المعمار ، لان سر المعمار في خطوطه ومـا تستتبعه من اضواء وظلال متنوعة المقـادير ، لا في الوشي الذي يعلوه او يملأ فراغاته او مسطحاته الجدارية . ولم يبدأ المعمار القوطي ، هذه المعجزة المسيحية — في مناظرة المعجزة اليونانية ، — لم يبدأ هذا المعمار يفقد جلال تأثيره وروعة سموه الا يوم بدأ هذا التزيين والتحلية .

لكن هذا الزخرف الحجري الرشيق الذي يعلو الاسطوانتين

القائمين عند المدخل عن يمين وشمال ماذا ترى فيهما وما عليهما من زخرف ؟ تأنق لا غبار عليه ان نظر اليه في جزئياته ، لانه زخرف انيق يتبدى كالبنان الرخص اللون لفتاة ناعمة في موجة العمر ، فيه جمال رحيم يخفف من الجلال الرهيب المتنفس حول الهرج والسهم . وهل تقوى النفس على المكث طويلاً في حضرة الجلال؟! حنانيك اذن ايها الهرج الرهيب !

***

مضى الاصيل وانتشر عبير الليل في الازقة اللزبة الناعسة ورف الهلال الرقيق فوق غاب الفالوا وغاق الكاهن كاندرائيته ، ولكن الهرج السامق ظل ساهراً يرعى بعيونه العديدة القرية العتيقة . فودعت ميدان الكاتدرائية الغربي واتخذت سبيلي في الدرب الضيق الطويل الذي يشق القرية طولاً ، درب شاتل Châtel وامتداده شمالاً وجنوباً . البيوت جللها القدم ومسح الزمن بأركانها . وحلا له ان يبني له فيها اوكاره . وعند تلاقي هذا الدرب بدرب التونلريه Tonnellerie التقيت بميدان صغير يعمل فيه البناؤون ، أوه ! هذا ميدان اولا دلا برويير Aulas - de - La Bruyère الذي يثير ذكرى حادث بليون Billion ، هذا الساعاتي الذي كان عضواً في جماعة البندقية Arquebuse ثم طرد منها لما نسب اليه من رباء فاحش . فذات يوم ، هو الاحد ١٣ ديسمبر سنة ١٧٨٩ ، اراد ان ينتقم لنفسه من هذه الجماعة ابشع انتقام ، وكان من عادتها ان تسير بمواكبها الزاهية وصفاراتها وطبولها في الاحتفالات . فقام في ذلك اليوم موكب من الجمعيات والنقابات ، بدأ سيره من البلدية متجهاً الى الكاتدرائية ماراً بدرب شاتل . فلم يكد الموكب يمر من تحت منزل بليون المطل على ميدان اولا دلا برويير حتى امطر بليون المارين من اعضاء جمعيته السابقة وابلاً من الرصاص بعد ان تحصن في بيته ونصب امام مدخله المتاريس ، وتساقط الشباب صرعى رصاصه الواحد تلو الآخر ، الى ان استطاع اولا دي لابرويير وبعض رفاقه ان يقتحموا المنزل ، وهنا ، وقد احس بليون بالخطر الداهم ، اشعل النار في برميل من البارود ، فحدث انفجار منقطع النظير أطار الالواح الزجاجية في المدينة ، واصاب سقف الكاتدرائية منه تلف . علي وعلى اعدائي ، هكذا قال في نفسه ، وراح هو الآخر صريعاً بعد ان خلف خمسة وعشرين من القتلى وواحداً واربعين جريحاً ، ووجد القوم جثته بين الانقاض ، فصلبوها على جذع شجرة ، وعرضوها خمسة عشر يوماً ، والقوا الملح مكان بيته المتداعي . لكن ماذا يجدى الصلب والتمثيل به ؟! وهل يضير الشاة سلخها بعد ذبحها ؟ ! لقد شفى غله منهم وانتقم لنفسه أبشع انتقام ، ومن يدري ! لعله ذهب لملاقاة ربه قرير العين مستريح الضمير !

هذا حادث جلل لا تزال ذكراه الرهيبة تتمثل في خيالات اهل سنليس Senlis ، وان لم يكن وحده الجدير بالذكر ، بل هناك ما هو اجل امراً واخطر اثراً في حياة فرنسا كلها . عد ادراجك قليلاً معي حتى درب الجمهورية في تقاطعه مع درب بلون Bellon ، تشاهد امامك نُزل فوترا Fautrat وقد وضعت عليه لوحة نقش عليها : « من هذا المنزل بدء المارشال فوش Foch ، وهو يعد للنصر ، كيما يفرض الهدنة في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ » . فقد اتخذ منها فوش مركزاً لقيادته ، وعند هذه المدينة ، سنليس ، توقف الزحف المظفر للجيوش الالمانية في بداية الحرب العالمية الاولى ، والنصب واللوحات تعمر المدينة لتذكرك بكل تلك الاحداث الجسام .

ويلوح ان المارشال فوش كان تقياً شديد الورع ، فكان يحضر القداس يومياً تقريباً راكعاً امام تمثال العذراء القديم العريق . ولا تزال كاتدرائية سنليس ، بما فيها من لوحات منقوشة ، عامرة بذكريات تقوى هذا المارشال الماهر .

لكن دعنا من صخب هذه الاحداث ، فما اتيت سنليس الا حاجاً لكعبة من كعبات الفن الرفيع ، ناشداً وحي الصمت بين مبانيها العتيقة ، وخلال طرقاتها الشائقة . أوه ! لماذا اشعر بحنين الذكرى وانا اجوس خلال هذه القرية ؟ هكذا ساءلت نفسي النشوى بعبير القرية الوادعة في ذلك المساء الساجي ، وسرعان ما وجدت الجواب في هذا الشبه القوي بينها وبين مرتع احلامي الناضرة الاولى ، مدينة بيروجيا في ايطاليا : كلتا المدينتين تمتاز بالقدم والعراقة واصالة الفن والمرتفعات والمنخفضات ((وان كانت هذه ابرز كثيراً في بيروجيا منها في سنليس)) ، وكلتاهما توحي اليك بهذا السجو العميق الذي لا يخلو من جانب صوفي ، طرقاتهما صنعت من الشعر ، بما لها من سقوف حجرية ذات اقواس انيقة كما يبدو خصوصاً في شارع التري Rue de la treille في سنليس ، وفي كثير لا يحصى من طرقات بيروجيا ، وهي طرقات تذكرني خصوصاً بمدينة صيدا في لبنانكم الحبيب ، يا سلوى ! نعم في هذه الطرقات ذات الطابع من العصر الوسيط ، شعر رائع ، لانها تتلفع بأنعم الاحلام ، وتتكنفها ظلال موحية تغري بالتأمل والصلاة ، وهل الشعر الا حلم وتأملات وصلوات ؟!

باريس عبد الرحمن بدوي

رسالة النقد الحديث



للنقادة الفرنسي تين

المقدمة الخالدة التي وشح بها كتابه الشهير « تاريخ الادب الانجليزي »

بقلم خليل الهنداوي

يقول جيزور : قد يستطيع المؤرخ ان يضع نفسه في حضن النفس الانسانية خلال زمن معلوم ، وعدد من القرون ، او عند شعب محدود يمكنه ان يدرس ويصف ، ويقص كل الحوادث وكل الاطوار وكل الثورات التي نشأت في باطن الانسان ، وعندما يصل الى النهاية ينشأ عنده تاريخ حضارة للشعب الذي اختاره ، والعصر الذي انتقاه .

التاريخ قد تطور منذ قرنين في المانيا ، ومنذ ستين عاماً في فرنسا وكان ذلك بفضل دراسة الآداب . وقد اكتشف ان أثراً ادبياً ليس بلعبة بسيطة من ألعاب المخيلة ، ولا بلذة منفردة تفتق عنها رأس متوقد ، لكنه نسخة من اخلاق محيطه ، وعلامة من حالة عقلية . ووجد ان بالامكان – بوساطة الآثار الادبية – ان نجد الصورة التي أحس الناس وفكروا بها منذ عصور . جربوا هذا وكانت النتيجة ناجحة

لقد فكر أناس على هذا النحو من الاحساس والتفكير ، وحكموا ان هذا العمل من النظام الاول ، ونظروا أنه يتناول اكبر الحوادث ويحللها فتصبح محاقبه ، بحيث يجب ان يعطى مكانه ، بل اسمى مكان في التاريخ . ولقد أعطوه مكانه .

ومنذ ذلك الحين تبدل كل شيء في التاريخ : الغرض والطريقة والآلات ، وادراك المذاهب والاسباب .

هذا التبديل – كما قام وكما ينبغي ان يقوم – هو موضوع كلمتنا هذا !

« تين »

ليست الآثار التاريخية الا دلالات ينبغي بواسطتها استخراج الفرد المشهود

عندما تقلب صفحات مجلد ما ، واوراق كتاب اصفر ، او قل قصيدة او قانوناً او رمزاً لايمان فما هي ملاحظتك الاولى ؟ ان هذا لم ينشأ وحده ، انه ليس الا قالباً يشبه صدفة مطمورة ، او اثراً كأثر اشكال مرسومة على الحجر لحيوان عاش وهلك ، ان تحت الصدفة حيواناً ، وتحت الاثر انساناً . فلماذا تدرس الصدفة ان لم يكن لتصور الحيوان ؟ وعلى هذه الطريقة انت لا تدرس الاثر الكتابي الا بغية ان ترى الانسان . الصدفة والاثر هما بقيتان ميتتان ، ولا تغنيان الا كاشارة الى الكائن الحي . الى هذا الكائن وحده يجب الوصول ، وهو وحده يجب تمثيله . قد يركبنا الخداع اذا ما درسنا الاثر كشيء قائم وحده . وهذا معناه بحث الاشياء في عالم بسيط والسقوط في وهم المكتبة . اذ في الحقيقة ليس هنالك ميثالوجيا ولا لغات ، وانما هنالك اناس يصفون كلاماً وصوراً بحسب اعضائهم وتركيب اعضائهم . ان مذهباً ما لا قيمة له بنفسه ، انظروا الاناسي الذين ألفوه ، لاية صورة في العصر السادس عشر ، من صورة راهب او شهيد انجليزي . لا شيء قام بغير الفرد ، وهذا الفرد نفسه الذي تجب معرفته . وعندما يوطد تسلسل المذاهب ، او تصنيف القصائد ، او اطوار الطبائع ، او تطور اللغات لا يعمل حينذاك الا لتنقية الارض من الردوم ، والتاريخ الحقيقي ينشأ عندما يبدأ المؤرخ ان يعمل على ان يستصفي خلل العصور – ذلك الانسان الحي – العامل بأهوائه وعاداته وصوته وصورته الطبيعية ، وحركاته وثيابه ، متميزاً كاملاً كالانسان الذي تركناه الآن في الشارع . فلنعمل اذاً على ان نلقي بقدر الامكان هذه الهوهة الطويلة التي تحول بيننا وبين ملاحظة الانسان بأعيننا وبأعين رؤوسنا .

من هنالك تحت الاوراق اللطيفة لهذه المقطوعة الحديثة ؟ شاعر حديث ، انسان كالفرد دي موسي ، او هيغو ، او لامرتين او هايني ، انجز دراسته ، وسافر بردائه الاسود وقفازه ، ونظر اليه نساء ، وأدى في المساء خمسين تحية واحدى وعشرين كلمة ظريفة في الوجود . وقرأ صحف الصباح ، وهو – بحسب المألوف – يقطن طابقاً ثانياً ، ، لا يمسه طرب كثير لان له اعصاباً . وخاصة لانه في هذه الديموقراطية الكثيفة حيث تختنق بعمل فحول المناصب الرسمية على ان يبالغ في ادعاءاته ويزيد في مقداره ، وقد جعلته رقة احساسه العادي مزهواً بنفسه يعتقد بأنه إله . هذا ما نشاهده في ديوان التأملات والاغاني الحديثة – كذلك الامر في مأساة من مآسي العصر السابع عشر . فهنالك شاعر ، شاعر كراسين مثلاً لطيف الروح ، صديق ، حسن الالقاء ، مزخرف الزي ، متدين ، مسيحي الفؤاد : من نعم ربه عليه انه لم يحمر وجهه خجلاً في صداقة الملك ولا الانجيل ، ماهر في تسلية الامير ، يحترم جداً الكبير . ويعرف دائماً ان ينال مكانته بينهم ، كذلك اذا قرأنا مأساة يونانية ، فأول ما يجب علينا ان نتمثل اليونان ، اولئك الرجال الذين يجوبون انصاف عراة ، في نوادي الرياضة والمواطن العامة ، تحت سماء صافية الاديم ، وتجاه ارق المشاهد وأبهرها جمالاً . منية واحدهم ان يكون له جسد قوي متين ، وان يحاور ويجادل ويعطي رأيه في الاشياء ، وان يكون عاطلاً فيا خلا ذلك . اثاثه في بيته ثلاث جرار ، وقوته زهيد ، بخدمة عبيد يتركون له الفرصة لتثقيف عقله وترويض بدنه . لا تشغله الا رغبة بأن يكون عنده اجمل المدن واجمل الافكار واجمل الرجال : وهنالك تمثال ، او مشهد البحر الازرق المتهادي كأنه رقعة من حرير . منه تخرج الجزائر كأنها ابدان من رخام . ومع هذا كله فان عشرين جملة منتقاة من افلاطون وارسطو توحي اليك من العلم اكثر مما توحيه اليك عدة مواضيع جدلية وتفاسير عقيمة .

وفي كل حال يجب ان يكون التفتيش نفسه ، فان لغة ما او دستوراً ما لا يكون الا شيئاً مجرداً ، اما الشيء الكامل فهو المتحرك ، الانسان الانسان المشهود بجسده . الذي يأكل ويمشي وينخفض ويعمل . دعوا جانباً مذهب تقويم الطبائع وعلمها والاديان ومسالكها ، واعملوا على ان تروا الانسان في مصنعه ، وفي حقله ، وتحت سمائه ، مع ارضه وبيوته وثيابه وثقافته وموائده . كما تعملون اذا الجرتم الى انجلترا وايطاليا اذ تحدقون في الوجوه والملامح والحركات . ان ضجرنا الكبير ينبغي ان يكون في الابتهال – بقدر المستطاع – الى الملاحظة . الحاضرة الشخصية الرئيسية الحساسة التي لا تستطيع ان تأخذها بالتمرين ، لانها هي الطريقة الوحيدة التي تعرف الانسان ! لتعرض لنا الغابر كالحاضر ، اذ حينما نعمل للحكم على شيء وجب ان يكون هذا الشيء حاضراً ! لا يقوم الا التجريد على الاشياء الغائبة ، ولا ريب ان هذا التجريد يعد غير كامل ، ولا يمكن ان يصل بنا الا الى نتائج غير كاملة . ولكن يجب الانقياد اليها فان معرفة جدعاء خير من معرفة خاطئة لا قيمة لها . ولا وسيلة الى معرفة الاشياء قديماً على ادنى ما هي عليه الا وسيلة النظر في الناس قديماً على ادنى ما هم عليه .

هذه هي الخطوة الاولى في التاريخ مشت في اوربا يوم ولادة المخيلة ، ومع – لسينغ وفالتر سكوت – في مختتم العصر الاخير وبعد ذلك في فرنسا مع شاتوبريان وبتاري وميشلي وغيرهم . والآن جاءت الخطوة الثانية .

الانسان المادي المشهود ما هو الا اشارة بواسطتها يجب درس الانسان الباطني غير المشهود

وعندما تلاحظون بأعينكم « الانسان المشهود » ماذا تفتشون عنه فيه ؟ الانسان غير المشهود . فهذه الكلمات التي تدخل في آذانكم ، وهذه الحركات ، وحالات الرأس ، وهذه الاثواب ، وهذه الاعمال وهذه الاثار الحساسة من كل نوع ليست في الحقيقة الا وسائل افصاح وبيان ، ان شيئاً – خلالها – يبين عن نفسه ، هو النفس . هنالك انسان باطني يتوارى تحت الانسان الظاهر ، والثاني لا يعمل الا على اظهار الاول . انكم تنظرون الى بيوته وأثاثه وازيائه ، لتستطلعوا خلال ذلك آثار عاداته واذواقه ودرجة ظرافته وخشونته ، واسرافه واقتصاده ، وحماقته ودقته . انكم تسمعون كلامه وتسجلون وقع صوته وتبدل اوضاعه لتحكموا على هيجان نفسه واستسلامه وطربه ، او مرونته وتشدده . وانكم تتأملون في كتاباته وآثاره الفنية ومشاريعه المالية والسياسية لكي تقيسوا حدود ذكائه وابداعه ودمه البارد ، ولكي تكتشفوا ما هو نظام وما هو نوع وقدرة افكاره الطبيعية ، وعلى اية هيئة يفكر ويحلل . كل هذه الظواهر ما هي الا منافذ تجتمع في قلب ، وأنتم لا تعملون الا على الوصول الى هذا القلب . هنالك الانسان الحقيقي ، اريد بذلك مجموعة الخواص والعواطف التي تنتجها بقية ذلك ، هنالك عالم جديد ، عالم لا ينتهي لان كل عمل مرئي يجر خلفه مجموعة لا تنتهي من البينات والاهواء والاحاسيس القديمة او الجديدة تعمل

على توضيحه واحاطته بالضوء . وهي كأنها صخور طويلة عميقة مغروزة على الارض تبلغ منها نهايتها واستواءها . ان هذا العالم المتواري تحت الارض هو الغرض الثاني ، غرض المؤرخ الخاص به ، وحينما يكون تهذيبه النقدي ناضجاً يصبح باستطاعته ان يستخلص — من خلال زخرف كل بناء ، وملمح كل قطعة او جملة مسطورة — العاطفة الخاصة التي خرج بها الزخرف والملمح والجملة . يقبل على الدراما الباطنة التي نشأت في الفنان والكاتب ، وينظر في اختيار الالفاظ ، والايجاز في العبارات او الاسهاب ، ونوع المجازات ، ولحن الشعر ، ونظام العقل والحكم . يرى في كل هذا اشارة وأمارة. وبينا تروح عينه تتلو نصاً ، تتبع نفسه ويتبع عقله الشرح الكامل ومجموعة الاهواء المتبدلة والمدارك العقلية التي يحتوي عليها النص. فيدرسه دراسة نفسية كما يتطلب علم النفس . واذا اردت ان تلاحظ هذا العمل فتأمل في مثال الثقافة العصرية — غوتي — الذي رأيناه — قبل ان يكتب (لافيجيني) — يكرس بعض ايامه لدراسة أكمل التماثيل ، وبعد ان ملأ عينيه بالاشكال النبيلة من القديم ، وروحه بالجمال الرقيق من الحياة السالفة اخذ ينتج في نفسه بدقة ميول المخيلة اليونانية وعاداتها ، وهذا الفتح الواضح للعواطف المضمحلة قد جدد في ايامنا التاريخ . لقد كان يجهل هذا كله في العصر الغابر ، وكانوا يقدمون رجال كل ذرية وكل عصر متشابهين متقاربين ، اليوناني والهمجي والهندي وانسان عصر النهضة مع انسان العصر الثامن عشر كأنهما خرجا من نبعة واحدة او صبا في بوتقة واحدة ، وهذا — بحسب التفكير المجرد — هو الذي ينفع كل النوع الانساني . انما يعرف الرجل ولا تعرف الرجال . انهم لم يحيطوا بالنفس ولم يروا في النفوس تباين طبائعها الذي لا ينتهي ، ودخائلها المركبة العجيبة . ولم يدركوا ان الطينة الاخلاقية لشعب ما وجيل ما شيء خاص متباين كما هو الحال في البنية الطبيعية لاسرة من النبات او لنظام من الحيوان .

التاريخ في عصرنا هذا كعلم الحيوان قد وجد تشريحه الخاص به . ومهما كان نوع الفرع التاريخي الذي يتعلق به ، من علم اللغات او الميثالوجيا او درس اللغات فعلى هذا الطريق وحده يجب العمل على انتاج ثمرات جديدة .

ان بين الكتاب الكثيرين من بعد — هيردر ومولر وغوتي — يرى القارىء مؤرخين اثنين ، واثرين اثنين : احدهما تفسير — كرومويل — لكارليل ، والآخر — بور رويال — لسانت بوف ، فيهما يرى القارىء بأية استقامة وأي يقين واي عمق يمكن اكتشاف نفس بأعمالها وآثارها . ويرى هذا القائد الكهل الذي كان رجلاً طاغياً اثانياً يصبح رجلاً تعبث به الاخيلة المرعبة الناتجة عن مخيلة كئيبة ، لكنه رجل واقعي الغريزة والخاصيات ، انجليزي حتى اعماقه . لا يفهمه من لا يدرس جنسه وبيئته . وبواسطة تحاريره المنثورة يمكنه ان يتبع اطوار حياته من بدئها حتى فسطاط قيادته وعرشه في كل ما استحال اليه ومر عليه . في قلق ضميره ، وفي احكامه كرجل دولة . حتى يبرز فيه الموجه فكرته واعماله ، وحتى تنفذ هذه المأساة الباطنة المتجددة على الدوام ، والمتبدلة ، والتي نزلت على هذه النفس المروعة . تنفذ — كنفس شكسبير — في نفوس الحاضرين . ويرى القارىء بعد ذلك تحت خصومات الدير والصلوات الدينية كيف يستطاع ايجاد قاطعة واسعة للتحليل النفسي الانساني ، وتحت المجادلات اللاهوتية والمواعظ المتشابهة كيف تستخلص خفقات القلوب الحية دائماً ، ونوبات الحياة الدينية والخطاطها وغير ذلك من صفات غرسها ، النقد في هذا الحقل المهجور .

وهكذا نجد — المانيا — بما اوتيت من عبقرية عريضة مرنة قابلة للتطورات قادرة على التعبير عن اقصى الحالات الفكرية الانسانية واكثرها غرابة ، ونجد — انجلترا — بما منحت من عقل صحيح يحسن معالجة المسائل الاخلاقية وتوضيحها بالارقام والاوزان والمقاييس والجغرافيا وعلم تقويم البلدان بقوة النصوص والتفكير الصحيح ، ونجد — فرنسا — بما اوتيت من ثقافتها الباريسية وعادات انديتها ، وتحليلها الذي لا ينتهي للصفات والآثار ، وتهكمها القادر على ملاحظة اماكن الضعف ، ودقتها المتمرنة على تمييز الفروق والاشكال المتقاربة ، كل هؤلاء غرسوا مكاناً واحداً . وقد بدأ الناس يفهمون الآن ان هذا المكان في التاريخ يمكن اهمال غرسه اذا ارادوا ان يروا غلات نافعة تنشأ منه .

وهذه الخطوة الثانية نحن في طريق اتمامها ، انها من عمل النقد الحديث ، وما تعهدها احد واغناها غير سانت بوف . ونحن — في هذه الناحية — كلنا تلاميذه . واليوم تتجدد طريقته في الكتب ، وفي الصحف الادبية النقدية والفلسفية والدينية . ومن هذه الطريقة يجب ان نسير لكي نبدأ التطور اللاحق وقد جربت مراراً عديدة ان اشير الى هذا التطور وفي اعتقادي ان هنالك طريقاً جديدة مفتوحة الى التاريخ واني لأجرب ان اصفها وصفاً اكثر اسهاباً .

حلب — خليل هنداوي

من شعر المنفى

مع ربة الشعر

الشاعر :

ربة الشعر لا تعني لقائي ... فيك انس ومنك سر هنائي
انا لولاك ما غدوت سعيداً ... في بعاد مهيئاً لشقائي
غاب عني جميع اسباب انسي ... وفقدت الاعز من اصدقائي
ليس لي سلوة لدى النفى الا ... وحيك الطاهر الجميل العزاء
انشديني من سحرك العذب انغا ... ماً تمد السرور في برحائي
وانظريني اقتبس منك أنو ... راً تريح الظلام من انحائي
املئيني بفيضك الفض اني ... وتر منك مستمد غنائي
وتر ناطق بما الك من فن ... ومن غبطة ومن انشائي
ارفعيني اليك است براض ... ان انال النشيد من دنيائي
حركيني بريشة منك تسمو ... بي الى مسرح السنا والسناء

ربة الشعر :

صاحبي لا تطل عتابي فاني ... لك ادنى من قلبك الثوار
سائل النخل انها من بياني ... ثم انصت لنغمة الازهار
واذا ما اردت روح نشيدي ... فتسمع للطير في الابكار
وانظر البدر حين يسدل مني ... ذهبي الرؤيا على الانهار
كل ما في الوجود منظر حسني ... ومعاني افرغت في اطار
وبهائي أجل ما قد تبدى ... في نفوس الابرار والاحرار
فارتفع عن وجودك المظلم النا ... ئي وغن الوجود من اشعاري
شعرك الفذ منك لكن وحياً ... ازلياً يهديه من مزماري

الشاعر :

كل ما في الوجود يشكو ويأسى ... أفأبقى حليف باكي المعاني ؟
قد سألت النخيل شدوي ولكن ... هي تشكو من قاطعي الاغصان
ورأيت الورود تبكي صباحاً ... حين مرت بها يد البستاني
ورايت الطيور تسقط في الارجا ... ء صرعى صباها الولهان
وسمعت المياه تبكي وتشكو ... مزجها المر بالدم الانساني
والفراش المسرور من رقصة المصباح يشقى بلوعة النيران
ربتي انني اريد غناء ... منك يضفي السرور في اشجاني
ربة الشعر أرتجي منك كوناً ... ليس فيه اسى الدموع العواني

ربة الشعر :

شاعري انت منتش ببيانك ... خفف اليوم عنك من كبريائك
انت شجعت فيك بعض امان ... هي قدس يفوز يوم انتصارك
انت تبغي الوجود كوناً نقياً ... طاهراً من اساك او ادرانك
تأمل اليوم ان تكون رسولاً ... حاملاً للمنار في اخوانك
تنشد الحب والاخاء وتدعو ... لاشتراك الجميع في آمالك
تنشد السلم، والوجود مليء ... بكفاح معاكس لمرادك
تبتغي الحب. . . والوجود يرى البغض سبيلاً للفوز عند المعارك
وتريد الحنين يغدو مكاناً ... لأنين الاشياء في اكوانك
أيهذا المفتون بالوهم قلل ... من امان ليست لغير عنائك
انت ترجو ان يغدو القارئون اليوم بعضاً من مؤمني افكارك
لترى قلبهم جميعاً كقلب ... منك يأسى للبؤس من اخوانك
ايها الشاعر المعذب والمفتون لا تمعن في غلوائك
انت حر وانت جد سعيد ... ان تكون الصدى لدى اكوانك
كن صدى هذه العوالم طراً ... وتألم لبؤسها وشقائك
ادع للرحمة الجميع وهذا ... كل ما ارتجيه من اوتارك

نزيل القاهرة

علال الفاسي

من المساء الاخير



كنت واقفاً بالامس عرياناً امام غدير ، حيث رأيت خيالي منعكساً فيه . كنت موقناً انه خيالي لانه كان صورة من نفسي ، بحيث انني كنت كلما تحركت تحرك هو الآخر مثلي ، وحين انحنيت عليه اتأمله انحنى نحوي يتأملني .

لكنه كان مغموراً في هذه المياه التي تفصله عني طبقة منها ، مما جعل معالمه الدقيقة غامضة عني . لكنني كنت استطيع ان المح بوضوح كاف انه كان جميلاً مثلي رائعاً كنفسي ، يضحك اذا ضحكت ، ويبكي اذا ما بكيت .

ولم اكن قد رأيت من قبل احداً من الناس في مثل هذا الاخلاص . فعجبت كثيراً لماذا نظل منفصلين ولماذا لا اصبح انا وهذا الآخر شيئاً واحداً ، فأنزع عنه الغشاوة التي تغطي جسده الذي يشبه جسدي .

ورأيته يرتعش اكثر من مرة فقلت لنفسي : لا شك انه مضطرب لوجوده وحيداً في مثل هذا المكان . وظننت انني الانسان الذي يستطيع انقاذه ، مما اضاف الى رغبتي شعوراً نبيلاً سعيداً .

ولقد كنت متردداً اول الامر ، ذلك ان تجاربي كانت قد علمتني الارتياب وعدم الاندفاع . لكنني حين عدت انحني عليه رأيته ينحني هو الآخر نحوي ، مما شجعني وازال اخيراً كل تردد من نفسي .

وقد اندفعت في المياه مخترقاً هذه الطبقة الشفافة ، وغصت حتى الاعماق الصامتة الرهيبة ، ثم عدت اطفو فارغاً على السطح ، وانا مغتسل مما لصق بي اثناء النهار وبشرتي تلمع في شعاع الاصيل ، رغم اني لم اقصد الى هذا ابداً .

وحين رحلت عن الغدير ، عائداً الى المدينة والاحياء ، مشتركاً معهم في مسراتهم وآلامهم ، وصخبهم ، كنت موقناً ان خيالي ترك الغدير هو ايضاً كي يقوم وحده برحلة جنونية مرهقة في اعماق الارض .

***

عندما أتم الفنان تمثاله الرائع العريان كان ثمة ابتسامة على شفتيه فوضعها على شفتي تمثاله . ثم ذهب واقامه قريباً من اكبر الجسور في الطريق ، واختبأ وراء بضعة اشجار .

ومر بعض الصبية في الطريق ، فاخذوا يتسلقون الاشجار المحيطة ويتراشقون بالحصى ويتبادلون النكات . ثم عبروا الجسر ، وما يبدو انهم احسوا وجود التمثال . فعدم الفنان ، وجرى كي ينتزع التمثال ليعود به الى غرفته ، حين وجد الابتسامة على شفتيه .

وبعد ساعة من الزمان مر موكب من الحسان ، ولحن التمثال ، فأخذن يهزأن به ويرشقنه بالحصى وهن سائرات في طريقهن الى الجسر . فاغتاظ الفنان ، وجرى كي ينتزع التمثال ويعود به الى غرفته حين وجد الابتسامة ما تزال على شفتيه .

وفي الظهيرة اقبل شحاذ في اسمال بالية وادار عينيه في المكان ، ثم اقترب من التمثال وجلس في ظله يستريح . وعندما قام ليعبر الجسر كان قد لوث التمثال . فغضب الفنان ، وجرى كي ينتزع التمثال ويعود به الى غرفته ، حين وجد الابتسامة قد استقرت على شفتيه .

وظل ينتظر حتى اقبل المساء ، بغير ان يقترب من تمثاله شيء ، الا زهرة من بعيد كأنما تطلعت اليه ذات لحظة ، وغير عصفور حط عليه هنيهة . اما الآن فالازهار قد اغمضت اوراقها والعصافير قد عادت الى وكناتها والبرد يشتد والظلام يزحف . فرأى الفنان المرتعش التعب ان يحطم التمثال قبل ان يعود لينام ، حين رأى الابتسامة الغنية قد اشرقت في خلودها .

فقبله وهو يبكي . . اما هو فقد عبر الجسر ايضاً ! .

القاهرة — يوسف الشاروني



قصة

كانت جريمة عبد العزيز افندي اهم ما مر علي طيلة ثلاث سنوات قضيتها طبيباً حكومياً لمدينة (ح) الصغيرة . ولم تكن اهمية هذا الحادث في انه حادث قتل فحسب وانما كانت راجعة قبل كل شيء الى طبيعة بواعثه وظروفه والى شخصية عبد العزيز افندي نفسها . فقد حدثت تلك الجريمة في صباح هادىء دون ان تسبقها نذر او ان يتنبأ احد بأن شيئاً ما سيقع بين عبد العزيز افندي خليل وسليم افندي الداني وكلاهما موظف في هذه البلدة الصغيرة يؤلف بينهما رباط صداقة وثيق . اما الصلة الاثيمة التي كانت تجمع سليم الداني بزوجة عبد العزيز افندي الفاتنة اللعوب فقد كانت سراً اقدر على القول بثقة ان احداً سواي، فيما خلا العاشقين لم يكن مطلعاً عليه ، وما كان لي انا ان ابوح بذلك السر فأخون الصديق الاول الذي ائتمنني عليه واهدم بيدي بيت الصديق الآخر الغافل عنه . ولقد زدت ثقة بجهل عبد العزيز افندي ، تلك الصلة ، حين لم تنبعث في محاكمته « اية كلمة تنبىء عن علم بها ، مع ان مجرد ادعائها كان خليقاً بتخفيف وطأة الحكم عنه ، ومع ان القضاء قد سعى سعياً حثيثاً وراء بواعث ذلك الحادث الغريب ، ولكنها استعصت على الباحثين وظلت الى اليوم سراً خفياً الا علي ، ويا له من سر اقض مضجعي ليالي طويلة وقذف بعبد العزيز افندي الى مصيره المحزن .

أبدأ قبل كل شيء بالقول ان علاقتي بعبد العزيز افندي ظلت خلال امد طويل لا تتعدى المعرفة البسيطة المتبادلة بين موظفين في بلد صغير واحد . ولم يكن في عبد العزيز افندي – الساهم دوماً ، ذي العينين الحزينتين حيث تكمد نظرة الذكاء اللامعة وراء صدأ من ادمان التفكير – ما يشجع على مبادلته الحديث . لذلك فقد ظل ولا اصدقاء له فيما عدا سليم افندي الداني الموظف في دائرة المالية وقسيمي في البيت الذي كنت اسكنه . فقد كان هذا حبيباً الى كل القلوب لطلاوة حديثه وبراعته في جر الزاهدين في الكلام الى الكلام . الا ان الحادث الذي انتاب عبد العزيز افندي عصر احد الايام ونحن جلوس في مقهى المدينة قد اتاح لي طريقاً الى صداقته ورفع لي حجاب السهوم عن جبهته العريضة الناصعة . واني لاذكر اليوم اني تعمقت في حياة عبد العزيز افندي اكثر مما تستوجبه الصداقة مهما كانت خالصة متينة الاواصر : لقد كنت في الحقيقة ادرس جوانب حياته المختلفة كباحث ولا اتحرى معرفة طباعه كصديق ، وما ذلك الا لانني وجدت فيه نموذجاً حسناً لتلك الحالات المعقدة ، النفسية الجسدية ، التي كنت اميل الى دراستها منذ ابتدائي في تعلم الطب بينما القت بي المصائر الى هذه البلدة حيث لا مريض الا جرحى اللصوصية وطعنى النزاع على السقاية او ورد الماء .

ففي عصر احد الايام كنا في حلقة ضمت معظم موظفي بلدة (ح) نستمع الى الحديث الشائق المزحوم بالفكاهة الذي كان يديره علينا سليم افندي الداني فحانت مني التفاتة الى عبد العزيز افندي وهو في مجلسه مثلنا قد القى بكل سمعه الى المحدث فرايته وقد امحت منه الكآبة التي كانت تظلل في معظم الاوقات وجهه الصارم التقاطيع فبدا صبوح الملامح لامع النظرة منبسط الجبين وارتسمت على شفتيه الممتلئتين ابتسامة فذة كانت تمثل فيها قوة نفسية غريبة بدت لعيني طافحة من كل ملامحه ، من منبت الشعر الكث الشائك الى مارن الانف الاشم الى الاذنين الضخمتين الشحمتين الغليظتي الالتواءات ، وبينما كنت ابسم كغيري لما كان يرويه لنا سليم الداني رحت اسائل نفسي عما كان يقوله او يفعله عبد العزيز افندي لو درى بالحديث الذي حدثني به سليم البارحة قبل ان يأوي كل منا الى فراشه في بيتنا المشترك عن زوجة هذا الاول ، وفي لحظة من لحظات زهوه بتهافت النساء عليه وعشقهن له قلت لنفسي ان عبد العزيز افندي سيقتل سليماً او يقتل المرأة ولا شك ، فليس يعقل من رجل يحمل هذه الكآبة الصارمة ان يصبر على خيانة زوج ولو كانت خيانة النظر ، فلا مفر من ان اظل

* من مجموعة « بنت الساحرة » تصدر قريباً في منشورات دار مجلة الاديب .

عالماً بهذه الخيانة دون ان اجرأ على التلميح بها ، ولا مفر من ان تظل نظرتي الى هذا المسكين دوماً نظرة رثاء . وبغتة ، او في سرعة تشبه البغتة ، بدا لعيني ان تبدلاً غريباً قد اصاب عبد العزيز افندي فقد شحب وجهه وجمدت الابتسامة على شفتيه اللتين ظلتا منفرجتين ، وتصلبت النظرة في عينيه وهو يحدق في وجه سليم افندي ، ثم زاغت نظراته لحظة ورأيته يبلع ريقه ويقبض بيديه متشنجاً على مسندي كرسيه ، وقبل ان يفطن احد غيري الى هذا التبدل المفاجيء ، انبعث عبد العزيز افندي من مجلسه واقفاً بسرعة اللولب وانطلقت من حنجرته صيحة قصيرة محشرجة اجفل لها الحاضرون ثم لم يلبث ان تطوح ووقع كتلة واحدة في مكانه ، فسمعت بين ضجيج الكراسي المتداعية خلف الناهضين وصيحات الدهشة والعجب ، رنين اصطدام رأسه بأرض المقهى الحجري ، واضحاً عالياً .

خلق هذا الحادث في المقهى جواً رهيباً غريباً ، فتكأكأ علينا رواده وخدمه . وطفق عبد الحميد افندي امين الصندوق يستعيذ بالله ويستغفره ، واصفر وجه مصطفى افندي الكاتب الجديد في المحكمة فاتكأ على كرسي بجواره وهو مغمض العينين ، اما سليم الداني فقد اخذ يصرخ بخادم المقهى طالباً منه ماء يمسح به وجه الطريح . وانا نفسي ظللت لحظات وقد سلبت لبي الدهشة فلم اتبين سبباً لهذا التغير السريع الذي اصاب عبد العزيز افندي وانا اراقبه ، ثم لم ألبث ان انتبهت الى العيون المحدقة بي المرتقبة مني – وانا الطبيب – عملاً يتلاءم مع المظاهر العنيفة التي بدت بها حالة الجسد الملقى امامي . فأخذ ذهني يكد ويكدح ، وحينما بدا لعيني عبد العزيز افندي وقد تطورت حاله مرة اخرى فتمددت اعضاؤه التي كانت متكومة ثم تصلبت ، وانثنى عنقه فمال بوجهه الى اليمين ، واحمر ذلك الوجه بعد الشحوب ثم لم يلبث ان اربد مزرقاً كأنه قد اختنق ، وحين بدت لعيني بوجه خاص مقلتاه وقد جحظتا ناظرتين الى حيث التوى وجهه ، عرفت سر وقوعه ، فجثوت الى جانبه وانا اقول بصوت حاولت جهدي ان يكون هادئاً : لا تفزعوا ، فما هي الا نوبة صرع ستنقضي بخير .

وكانت حقاً نوبة صرع تشنج لها جسد عبد العزيز افندي حتى وقف تنفسه واستحال كتلة خشبية يابسة ، وانتبج لها عنقه فبدا بارزاً كالغدة فوق زيق الرقبة الضيق . فاسرعت افك ذلك الزيق ، ثم خلعته من الحزام المشدود على بطنه كما تغلبت على تشنج فكيه فادخلت بينهما مفتاحاً وبذلك أمنت على لسانه من ان يعض ، وفي خلال ذلك انقلب تصلب الجسد المستمر الى موجات من التشنج اخذ عبد العزيز افندي ينتفض لها انتفاضات قوية كأنه مدفوع الى ذلك بقوى متساوقة متوازنة . واخذت اجفانه تنفتح وتنغلق فتومض بينهما مقلتاه الجاحظتان المدميتان كأن فيهما شعلة متأججة من الحنق الثائر . وانتفخ شدقاه بلهاث متقطع مزبد . ثم لم تلبث اعضاؤه اليابسة ان لانت ، وملامحه المشدودة ان انبسطت ، ولاحت قطرات كثيفة من العرق على الجبين المربد ، وعلا مع نفس الطريح شخير اجش ، فنهضت من ركوعي وانبأت المتطلعين من حولي بانه قد دخل في دور سبات عميق ، فانفض عنا من لم يكن معنا منذ البداءة . وظللت الى جوار عبد العزيز افندي ريثما هدأت انفاسه وعاد التورد الى وجهه . ولما صحا في ذلك المساء وجد نفسه في فراشه مضعضع الحواس منهوك الجسد . ولم يتح لي التحدث اليه وهو ناشط الجسم والذهن الا بعد هذه الواقعة بايام . فكان حديثه اذ ذاك احدى الحلقات الهامة في هذه القصة الغريبة التي انتهت بان اضاع عبد العزيز افندى حريته ضحية قواه النفسية الزاخرة ونفاذ عقله اللاواعي الشديد الالتماع .

لم تكن تلك النوبة هي الاولى التي اصابت عبد العزيز افندي من نوبات الصرع ، وان كانت هي اول ما اصابه منذ حلوله هذه البلدة . وقد علمت منه فيما بعد انه ما آثر هذه البليدة الهادئة على دمشق مسقط رأسه ومقر وظيفته الاول الا حذراً من ان تلقيه احدى النوبات المفاجئة تحت عجلات سيارة مسرعة او على شريط احدى الحافلات في مدينة ازدحم سكانها وتعددت مرافق الحياة فيها . وعلمت منه كذلك انه لم يأل جهداً في البحث عن طب لدائه فلم يجد غير الادوية المسكنة التي كان شأنها ان تباعد بين النوبات ولكنها تعيدها اشد عنفاً واسوأ عقابيل . قال لي : فضلت حينذاك ان اتبع مشورة الاطباء فتركت عملي المنهك في دمشق الى عملي البسيط هنا . وتراني راضياً بالواقع قانعاً من الحياة بأن اعيش مع زوجتي هنا في هدوء ودعة . ولا اكتمك اني كنت اتوقع هذه النوبة بعد ان طال عهدي بامثالها ، منذ زمن .

– قلت متسائلاً : ماذا تعني بهذا القول ؟

قال : لقد كنت منذ نحو من شهر اشعر بقلق زائد في قرارة نفسي واحس ان قواي النفسية قد تألبت على جسدي تألباً شريراً . كنت اشعر بالنشاط يتفجر بين جوانحي في تأجج ملتهم فلا اجد له منفساً الا في استنفاد قوتي في الاعمال البيتية كما كنت احس بحنق يأكل مرارتي فلا اجد له مفرجاً الا باساءة عشرة زوجتي وانا اعلم اني عليها متجن ، ! واحب ان اقول لك اني اكثر تبرماً بهذا القلق النفسي

الذي كنت اعلم منه انه طليعة لنوبات دائي من تلك النوبات نفسها؛ ذلك لانه يؤلمني ان يصبح كياني الروحي خاضعاً لقوى الشر الجارفة كأني حيوان ضار فاقد النصيب من كل طيبة او ذكاء .

قلت : اما عن الذكاء فلقد يسرك ان تعلم ان مثل دائك هذا كثير النزول بالاذكياء والمبرزين منهم ، فلا تغمط نفسك حقها .

قال وهو يبتسم بمرارة : شكراً، على انه حظ بئيس للاذكياء لقد كنت اعلم ذلك من نفسي كما كنت اعدها لغير ما تراني فيه اليوم في هذه البقعة النائية . ولكني اريد ان احدثك بالذي رأيته ساعة ان وقعت وقعتي تلك في المقهى . لقد قلت لي انك كنت تراقبني حينذاك فرأيت بصري قد زاغ ووجهي قد شحب، واحسبني قادماً على القول اني كنت حتى تلك اللحظة التي تصف واعياً شاعراً بما حولي وفجأة تبدت لعيني وانا احدق في وجه صديقنا سليم ملامح شاحبة لصورة مألوفة لدي . واخذت تلك الملامح تتضح بسرعة وتبرز امام ناظري حتى خيل الي انني اراها تشف عن وجه سليم او اني ارى وجه سليم يشف عنها ، وحينما انطلقت من صدري تلك الصيحة كنت قد استبنت تلك الصورة وعرفت صاحبها .

قلت : صورة من كانت ؟

قال : صورة امرأتي . . .

فابتسمت وقلت له : انك محظوظ يا صديقي ، فان ما يتفق لعامة من قدر كهم النوبة التي ادركتك ان يروا الرؤى المخيفة قبل ان يصرعوا ، ذلك ما ندعوه نحن الاطباء بالنسمة ، نسمة الصرع . اما أنت فان نسمتك هي ان ترى وجه من تحب .

فأجابني جاداً : قد يكون هذا . ولقد كان يخيل الي قبل ان تصرعني نوبات سابقة اني ارى وحوشاً كاسرة تنقض عليّ طالبة افتراسي او أسمع اصواتاً رهيبة تدوّي في اذني . اما في هذه المرة فقد تمثل لي وجه امرأتي التي احب كما تقول ، ولكني لم اكن اقل فزعاً مني في المرات السالفة بل زدت حنقاً وغيظاً . نعم ، لقد احسست وأنا ارى ذلك الوجه يكاد يمحو بوضوحه وجه سليم افندي المنطبق عليه بان ذلك القلق النفسي الذي جثم على اضلاعي شهراً او يزيد قد وصل الى ذروته وانقلب غيظاً جارفاً وحنقاً يتأجج بين جوانحي فصحت تلك الصيحة المريعة ، وانبعثت واقفاً لاعمل عملاً ما، لم اكن لادري كنهه ثم ما لبثت ان سقطت ونسيت نفسي فلم انتبه الا على جسدي المنهوك ممدداً على السرير، مرضوض الجوانب . وحين تلمست آثار القلق النفسي في مشاعري وجدته كأنما رحض من جوانب صدري رحضاً ، فأنا اليوم هادىء البال مطمئن النفس في رأسي هدوء وصفاء اشبه ما يكون بالفراغ . ماذا تقول في هذا يا دكتور ؟

فسكت لحظة قبل ان اجيب ، وتطلعت الى وجهه فرأيت فيه حقاً دلائل الهدوء الذي يذكر . ولكني كنت اتبين في غموض ان نظراته قد اضاعت في عمقها شيئاً كثيراً بهذا الهدوء وان تقاطيعه اصبحت اقل صرامة وبالتالي اقل جلالاً . ولقد كان في منظره ما يدل على ان انطفاء ذلك القلق من نفسه قد حط من رفعة روحه . واذ كان هذا التبدل يلوح لي كسحابة تائهة فوق وجهه لا يمكنني الجزم بصلتها بما في نفسه، فقد اجبته مازحاً : الحق يا صديقي انك طردت السأم عني بقصتك هذه . فهذه حالة تستحق ان يدرسها الطبيب فهل ترضى لنفسك ان تكون « حيوان تجربة » ؟ .

فنهض وهو يضحك وقال : لك ما تريد الا ان تشرحني كما تفعل بالذين تحقق في مقتلهم كل يوم ، فان جسدي ليس للتقصيب .

واذ كنت اتبع بنظري مواطىء قدميه في خطواته المتباعدة عني قفزت الى ذهني حكاية سليم افندي وامرأة هذا المسكين . فساءلت نفسي متوجساً هل شك بالامر فصور له الوهم وجه الحليلة منطبقاً على وجه الخليل ؟ ولكني اذ كنت اعلم ان تلك القصة سر لم تسمع به اذن سوى اذني طرحت هذا التوهم من بالي كما طرحت من بين اصابعي عقب اللفافة التي كانت في يدي منه ، وانطلقت متناسياً تلك القصة الى حيث ازدحم المرضى على باب المستوصف .

مضى على هذا الحادث ما يقرب من العام ، ارتبطت خلاله مع عبد العزيز افندي برباط صداقة قوية لم يكن ينغضها عليّ سوى علمي بالصلة الاثيمة التي ازدادت توثقاً بين سليم الداني وزوجة صديقي الجديد . ولم يكن سليم بالذي يعبأ بنصائحي التي كنت ازجيها اليه ، وكان كل ما فعل ان وعدني باتخاذ مزيد من الحيطة في لقاء عشيقته حذراً من قالة الناس وشيوع الامر . ولما كان شريكاً لي في مسكني ومعاشي فقد اخذ يتوخى ذلك اللقاء في ايام زياراتي الدورية للنواحي البعيدة الملحقة بعملي مراعاة لي وتخلصاً من الحاحي وفي اثناء ذلك العام لم آل كذلك جهداً في البحث عما استطيع به تخفيف وطأة الداء عن عبد العزيز افندي . ولكن الفحوص الطبية البسيطة التي اتيح لي اجراؤها بوسائلي القاصرة ، ونتائج الفحوص التي استصحبها عبد العزيز افندي من زياراته المتعددة لاطباء عديدين لم تستطع هدايتي الى شيء . فانصرفت الى القول بان حاله كانت حال صرع اساسي ليس للطب المادي فيه يد، اذ كانت جل عناصره نفسية محضاً . اقول عناصر نفسية لاني كنت على خلاف كثير من

زملائي الذين لم تكن هذه الآفاق من العلم لتهمهم في شيء ، أو من بقدرة النفس على التدخل في حياة الانسان المادية وفي افعاله العقلية . فلما رأيت عبد العزيز افندي لاحت لي تلك القدرة كأنها هي المحرك الوحيد لجسم هذا المصروع على الارتجاج والانتفاض .

وكأن القلق الذي وصف عبد العزيز افندي سيطرته على نفسه شهراً قبل النوبة هو منبع تلك القوى التي ألقته عصر ذلك اليوم صريعاً على ارض المقهى . لذلك فقد كنت انتظر ان يبدو ذلك القلق من جديد في نفس مريضي لاتعرف عليه وارى ما كنهه .

ولقد جاء – اعني ذلك القلق – في النهاية ، بعد ما مرت عشرة اشهر وكلانا – انا وعبد العزيز افندي – في ترقب له .

بدأ هذا الاضطراب النفسي بدءاً رقيقاً ، ثم اخذ يثقل شيئاً فشيئاً كأنما هو سحابة اخذت تتكون في افق روح عبد العزيز افندي من اجتماع شتات من ندف الغيوم . وكان عبد العزيز افندي يطلعني على تطورات ازمته الروحية هذه آناً بعد آخر فكنت احاول ما وسعني ان اسري عنه . وقد لجأت في مرات عديدة الى القليل الذي استطيعه من التنويم المغنطيسي علّي استطيع التأثير عليه وتهدئة حاله ولكنه كان يثور في نهاية كل جلسة بعد ما كان قد طاوع في اولها . ولست ادري أكان ذلك لقلة دربتي ام لان جيشان قواه النفسية لم يكن ليترك روحاً تسيطر على روحه . وظلت حاله كذلك حتى جاءت النهاية فاجعة بشعة ، تضم في ثنايا تلك الجريمة المروعة مثالاً جاوز كل ما كنت اقدره عن قوة النفس اذا ما غلى مرجلها ، قوة على العلم : باختراق الحجب الصفيقة القائمة امام عقلنا الواعي وحواسنا القاصرة . وعلى العمل : بتحريك جسمنا المادي نحو غايات لجمنا عنها في اثناء حياتنا العادية بالخوف والعرف اللذين اعتدنا على دعوتها بناموس الاجتماع .

كنت قبل تلك النهاية بيوم واحد قد فحصت عبد العزيز افندي فآنست ازدياداً في ضغط دمه ونشاطاً في ارتكاساته العصبية تلقاء المنبهات فنصحته بأن يقلل من تناول الماء بعد ان كنت منعته عن تناول الاشربة المثيرة ، كما اعطيته بعضاً من الاقراص المهدئة .

وجمعنا ذلك المساء كما جمعنا كل مساء غيره في حلقة الموظفين في مقهانا المعهود ثم انفضضنا عنه منتصف الليل هادئين ، كل الى منزله وانا وسليم الداني الى منزلنا المشترك . وجاء الصباح المشؤوم .

فبينما كان خادمنا في ذلك الصباح منشغلاً باعداد القهوة ، طرق الباب . فانطلق سليم اليه وهو يردد اغنية بلدية بصوت عال . وسمعت صوته مرحباً بالقادم ، ثم تلا ذلك سكون صحت فيه متسائلاً : مـن هذا يا سليم ؟ فلم يجب سليم ، الا اني سمعت خادمنا يصرخ في فزع : دكتور ، يا دكتور ! فقفزت من السرير الى الممر بخطوتين . وكان اول ما رأيته عبد العزيز افندي ملتزماً سليم الداني .

خيل الي اول الامر ان عبد العزيز افندي كان معانقاً زميلي في السكن ، فقد كانت يدا سليم المرتفعتان الى عنقه بحركة دفاعية ذاتية تحجبان كفي عبد العزيز افندي المنطبقتين على ذلك العنق . ولكن الركبتين المتقاربتين من الارض ، والساقين المندفعتين الى وراء ، والقدمين المتشنجتين في الحذاء المنزلي اللاصقتين بعتبة الباب ، كل ذلك وضح لي حقيقة ما كان حادثاً . فهرعت الى عبد العزيز افندي صائحاً : ويلك ماذا تفعل ! وامسكت بيديه فخيل الي انهما متصلبتان حول عنق سليم المسكين . وراعني ما على وجه عبد العزيز افندي من علائم الهياج اذ كان مزبد الفم دامي المقلتين مزرق الوجه ، فما تمالكت نفسي ان لكمته على وجهه بكل قوتي فارتدت به اللكمة الى مصراع الباب جاذباً معه العنق الذي كان بين يديه . ثم رأيت كفيه تفلتان سليم افندي فجأة فتهاوى هذا فاقد الحراك ، بينما تطوح عبد العزيز افندي نفسه لحظات ثم هوى ايضاً بجانب صاحبه ، حيث انثنى رأسه على جذعه في الممر الضيق الذي لم يتسع للجسدين المتجاورين .

وفي وسط لجة زاخرة بشتى المشاعر الحادة من دهشة وجزع وغيظ ، شعرت بحزن عميق لما تبين لي ان قبضتي عبد العزيز افندي الجبارتين قد قضتا على زميلي وصديقي قضاء ابدياً . وذلك لان كل محاولاتي السريعة لاعادته الى الحياة خابت . وشعرت بنار من الحنق تأكل صدري وانا ارى عمق مغارس الاظافر في انطباعات الاصابع المزرقة في عنق الجثمان الملقى امامي . فالتفت الى عبد العزيز افندي فرأيت انه ما زال مذ تطوح ، ملقى على العتبة . أهي اللكمة التي اذهبت رشده ؟ ولكن لا ! . . ان لهاثه ينفخ شدقيه والزبد يفور حول شفتيه دامياً ، وها هو صوته يغط في شخير . في هذه اللحظة خيل الي أن بارقة من التفكير تشق زوبعة المشاعر السوداء التي كانت تدور وتتقلب في رأسي وصدري . فتناولت مسرعاً قدم عبد العزيز افندي واخرجتها من الحذاء ، وسلت عنها الجورب ، وباظفري خدشت باطن القدم فرأيت العلامة التي يعرفها الطبيب وليس وراءها شك .

لقد كان عبد العزيز افندي ، في تلك الساعة ، اسير نوبة اخرى من الصرع . . .

***

قال لي عبد العزيز افندي :

يا صديقي اني اكاد اجن . لقد انتهيت الى الاعتقاد باني قاتل سليم الداني لانك انت وخادمك وكل الظروف تقول بذلك . ولكني اقسم لك بكل ما تريد اني لا ادري من قضية القتل هذه شيئاً ، استحلفك بالله هل تعرف لي دافعاً الى هذه الجريمة ؟ ألم نكن صديقين متآخيين؟ الم نفترق تلك الليلة عن خير؟ا يفترق عنه الاخوان؟ سأقص عليك كل ما جرى منذ افترقنا لاني اريد ان تثق باني ضحية للقدر مثل سليم الموحوم سواء بسواء، واني لست ذلك المجرم الذي صوره المدعي العام للمحكمة والذي رايت الحكم عليه في نظرات القاضي .

لم استطع النوم بعد ان فارقتكم الا بعد ان تناولت قرصاً مما اعطيتنيه . وفي الصباح قمت ناشطاً فلبست ثيابي ثم جلست وزوجتي وتناولت الشاي . وكنت اصغي الى حديثها وانا احس بثورة في صدري . وبينما كنت اتطلع الى وجهها رايته يتعكر فجأة وتبدو عليه انطباعات ملامح غريبة اخذت تتوضح شيئاً وراء شي . . أتذكر حادثتي تلك في المقهى ؟ لقد كانت هذه اختها . وكان الوجه الذي رأيته هذه المرة منطبعاً على وجه امراتي هو وجه صديقنا سليم .

لقد تكررت هذه التجربة علي . وليس من رؤية وجه صديق لي ما يثير الحنق ولكني مع ذلك شعرت بدمي يفور في عروقي وان صدري يكاد ينفجر غيظاً . ولا بد من ان تكون زوجتي قد لاحظت ذلك اذ سمعتها تسألني بصوت الخائف الفزع : عبدالعزيز، ماذا جرى لك ؟ . ولم التفت الى قولها اذ خيل الي ان شفتي صديقي تنفرجان عن ابتسامة هزء بغيضة ، وأني كنت مقصوداً بذلك الهزء . فقمت وانا اهم بشيء ، ولعلي صرخت كما صرخت تلك المرة قبل ان اقع على الارض ، ولكني منذ قمت من مجلسي شعرت باني فقدت رشدي كاملاً . ان بعض المارة قد شهدوا بانهم راوني اسير بخطى ثابتة مغبر الوجه مزبد الفم من الطريق الى بيتكم ، ولكني اؤكد لك يا صاحبي اني لم استرد وعيي الا في غرفتك وانت توقظني من سباتي وتسألني عن جريمتي ، أهي جريمتي ام جريمة القدر ؟! لقد صرعني هذا الداء نوبات عديدة فلم اضر احداً به . فلمَ صب القدر كل نقمته على حياة صديقي بيدي هاتين ؟ أأكون مجرماً ثم تكون جريمتي قتل اعز الناس الي والصديق الذي اصطفيته في هذا البلد ؟ . . انبئني يا صديقي ! قل .

لم يكن لدي في الحقيقة ما اقوله لعبد العزيز افندي المسكين الا كلمات تعزية تافهة . وكنت واثقاً انه ما جنى تلك الجناية الا وهو مسلوب الارادة تائه العقل . على ان القاضي لم يأخذ بقولي ولم يستطع الاطباء الشرعيون ان يرفعوا عن صديقي المسؤولية . قال احدهم : اننا نفهم ان يكون امرؤ مصاب بالصرع فيخرج عن طوره . ونقبل في احوال نادرة ان يفقد مصروع وعيه للحظات فيعتدي على من بجواره . اما ان يخرج امرؤ من بيته هادئاً في الصباح المشرق فيسير قرابة ربع الساعة ، ويلقى اناساً على طريقه فلا يعارضهم بخير ولا شر ، ثم يقرع باباً يفتحه له رجل غافل فيقتله خنقاً ، كل ذلك وهو اسير نوبة صرعه ، فنظرية لا يقبلها عاقل ولا يقرك عليها طبيب . حذار يا دكتور من ان تلجَ في دفاعك عن صديقك والا عددناك شاهد زور . . لمَ ، اذا كانت جريمته مجرد ثورة مصروع ، لمَ اصطفى ضحيته اصطفاء ولم يعتدِ على احد الذين التقوا به في الصباح وزاره وراَهم ؟ !

لمَ اصطفى ضحيته ؟ ذلك هو السؤال الجوهري في هذه القضية ، الحلقة المفقودة في سلسلة هذا الموضوع المعقد الذي عجز عقل الطبيب الشرعي عن اكتناهه ، وقصرت معلوماته التي اشربته اياها مدرسته وكتبه عن الاقرار بها . لمَ اصطفى عبد العزيز افندي سليم الداني فجعله ضحيته ؟ . . انا الوحيد الذي يستطيع ان يقول الجواب ولكن لا احد يصدقني . انا الوحيد الذي يستطيع رفع الحجاب عن الدافع عبد العزيز افندي على قتل صديقه حين اقول انه قتله لانه كان يدوس عرضه ويخونه في زوجته . ولكن عبد العزيز افندي نفسه سيرميني بالكذب لانه لا يعرف الحقيقة الا في اللحظات القليلة التي يركبه فيها داؤه الالهي فيمزق عن عينيه حجب الحياة البشرية العادية . فهل من فائدة يجنيها هذا المسكين لو هتكت هذا السر سوى ان افضحه في زوجه وازيد ليالي سجنه ظلمة وعذاباً ؟

اني في هذه الساعة اذ يتقلب عبدالعزيز افندي على فراش ضيق خشن في سجنه مكفراً عن جريمة هو غير مسؤول عنها لانه ارتكبها غير واع الوعي الذي يفهمه الناس ولان ضحيته تستحق ذلك الذي لاقته على يديه . اني في هذه الساعة لأتقلب ايضاً على مرقد ضيق خشن من القلق على هذا الصديق الذي عرفت من امره ما لا يعرفه غيري دون ان استطيع له عوناً . ومن تبكيت الضمير حين لم احتط لهذا الامر واكتفيت بأن اجد في صديقي حيوان تجربة يرضي انانيتي العلمية . ومن العجب من النتيجة الغريبة التي انتهت اليها قوة عبد العزيز افندي النفسية حين مزقت امام باصرته حجب العالم المادي ، فقتلت صاحبه بيديه ، والقت به نفسه في غيابة السجن لخمسة عشر عاماً مقبلة . .

دمشق

عبد السلام العجيلي

وحي الكؤوس

☆

بلبلتني بريقها البـابلية … واستغلت كـآبتي في العشية
قلت صبراً – وماملكت اصطباري … واماناً – وما امنت الشهية
هاتها يا نديم ، واستنزل الجن … عليهـا ، وناشـد العبقرية
انني اشرب الحرام حـلالاً … حين استنطق القوافي العيية.
شعشع الليل افق نفسي، وكأسي ، … بوميض السهى وظل الدجيه
والخيـالات نصب عيني حيرى … بين اخذ الاسى ودفع الحمية
حسبك الله يا خيـال بلادي … أشكاة حملت لي ام تحية ؟
حبذا لو شربت نخب شقـائي … عند شربي نخب الديار الشقية .
رب ذكرى تطل من كأس خمر … كعيون العفاة ، سكرى . ندية
ما عرفنا بها فلسطين لو لم … يشهـد الطعم انهـا دموية
تلك ذكرى الجهاد ، بل قطرات … من جراح المجـاهدين الطرية
ودموع الارواح ، بل قبلات … من فم الخلد ، لاهبات ، نقية
تتلظى على الشفاه ، وترمي … في الحلاقيم من لظاها شظية .
يا لهيب الرؤى، غمسناك في الكأس … ، فما اضمدتك كأس روية
ان نفضت الحباب عنها استعارت … رغوة من دم الصدور الشجية !
يا لهيب الرؤى على رقصة الاشباح … في هـالة السنـا القزحية
ان ارواحنـا فراش ترامت … فيك مجذوبة بنـار خفية !
يا لهيب الرؤى، لسانك سيف الحق، … صور العـدالة الازلية
انذر الغـاشمين ان حساب الله … ماح غداً حساب الهوية !
يا لهيب الرؤى على اجة الاقداح، … مثلـت ثورة قدسية
في قبـور تفتحت ، وقصور … ضارعات الى القبور ، جثية !
يا لهيب الرؤى—ولولاك ما عاشت … فلسطـين في الضمائر حية !
لاعدمناك يا شعاع عيون الغيب ، … يا فاتح القلوب العصية .
نحن قوم على الكريهة طبنـا … ولمعنـا مـا شاءت الالمعية
ما ترانا كفحمة الجمر مست … شرر النار فاستحالت سنية .
كم حبسنـا دموعنا وسفحنا … دمعة الكرم ، سُخرة باطنية !
مـا انتشينا بصبوة ومدام … وانتشينـا بغضبة مضريـة
لو ترامت ثاراتنـا في جحيم … لركبتنـا الى الجحيم مطية
كتبت آيـة الجهاد علينـا … وعلى الله والسيوف البقية !

بوينس ايرس — الارجنتين … جورج صيدح

الفن الامريكي الحديث

بقلم لسلي لويس

الملحق الثقافي في المفوضية الاميركية ببيروت

☆

يحكى ان جحا سافر يوماً الى حلب فالتقى هناك بصديق له اسمه خوجا فقال له جحا : « سمعت انك ربحت الف ليرة بتجرة قمح فهل هذا صحيح ؟ فـاجابه صديقه : « نعم هذا صحيح ، ولكنني لم اتاجر بالقمح بل بالارز . والمبلـغ لم يكن الف ليرة بل مئة ليرة ، ولم يكن ربحاً بل خسارة » .

ان المجادلات الفنية هي في الغالب مثل هذا الحديث بين جحا وصديقه الخوجا ، فعندما ينتهي المتجادلون من البحث نجد ان كلّا منهم كان يتكلم في موضوع مختلف ، فللاول التصوير قمح وللثاني التصوير أرز . للاول يظهر انه ربح وللثاني يظهر انه خسارة .

فأيهما على حق يا ترى ! يعتقد البعض ان التقدير الفني هو كناية عن ذوق شخصي ، فاذا احببت صورة فهي حسنة ، واذا لم احببها فهي غير حسنة ، ولكن على افتراض ان صورة ما اعجبت انساناً ولم تعجب الآخر فماذا تكون ؟ أنقول عنها انها سيئة — جيدة ، او جيدة سيئة .

ويقف اثنان امام صورة ما فيقول الاول : « هل فهمتها ؟ » . فيجيبه الثاني : « كلا فانها مثل المركب المقلوب . » ويحكمان على المصور انه مجنون ، ولكن هل يحكمان عـلى الصيني انه مجنون اذا تكلم لغة لا يفهمانها .

ان الموضوع الذي اقترحت علي الآنسة سلوى روضة لأتكلم عنه هذه الليلة كان، الفن الاميركي الحديث ، ولكن كيف يمكنني ان اتأكد اننا متفقون على معاني الاصطلاحات المستعملة وعـلى المقاييس الاساسية في النقد الفني ؟ ألا يكون حديثنا اشبه بقصة جحا مع صديقه ، فنتكلم عن متناقضات ولا نصل الى تفـاهم صحيح ، او اننا نحكم على الفن فقط من الناحية التي تلذ لنا وفي هذه الحالة نستغني عن الكلام ونقف امام الصور قـائلين هذه تعجبنا وهذه لا تعجبنا .



رفع الصليب لفيليب

●

والآن لنتفق على معنى كلمة « الفن الاميركي الحديث ، » في معنى حديثنا هنا ، أنقصد هذه السنة بالمقابلة مع السنة الماضية ام نقصد هذا العقد بالمقابلة مع العقد الماضي، ام هذا القرن بالمقابلة مع القرن الماضي .

وبكلمة «اميركي» أنقصد هذه التحف التي خلقها فنانون عاشوا في اميركا بقطع النظر عن اصلهم الاول ، ام التي خلقهـا فنانون اميركيون وبقطع النظر عن مكان اقامتهم اليوم ام نعني تلك الصور التي انتجها فنانون اميركيون في مواضيع اميركية .

واخيراً ماذا نعني بكلمة «فن»، انعني جميع الاشكال التعبيرية من نحت وبناء ام نحصره في التصوير ؟

وانا لا اثير هذه الاسئلة الا لاشدد على اهمية تحديد هـذه الاصطلاحات قبل الشروع بالبحث .

ان حكاية الفن الاميركي يمكن ان تحكى بكل اختصار

---

* ترجمة المحاضرة التي القيت باللغة الانكليزية في الدرس الثاني عشر من سلسلة تاريخ التصوير الزيتي الذي تعطيه اللجنة الفنية في النـادي الثقافي العربي .

فهي ترجع الى ثلاثمئة سنة خلت يوم كانت اميركا ما تزال في عهد المقاطعات حيث ظهر شيء من تصوير الاشخاص والمناظر يتشابه مع ما عاصره من الفن الانكليزي والاوروبي، فالتصوير في اميركا قد مر في نفس الدورة التي مر بها الفن الاوروبي، فكل مدرسة فنية في اوربا ممثلة في الولايات المتحدة وكانت سنوات الحرب وتعدد اللاجئين من اوربا الى اميركا يزيد في هذا التأثير .

وبالاضافة الى ذلك فقد ظهر شيء من الاقليمية والقومية في تاريخ الفن الاميركي. «فردريك رمنتن» Fredric Remington معروف كمصور غربي لان اكثر صوره هي المقاطعات الغربية. ومارسدن هارتلي Marsden Hartly كمصور نيو انجلند وهناك من يفضل مشاهد نيويورك او سان فرنسيسكو وغيرها وغيرها .

على ان هذا التصنيف لا يهمنا كثيراً لان القطعة الفنية قد تكون جيدة او رديئة بقطع النظر عن منطقتها الجغرافية، ولا يهمنا كذلك ان يكون جرانت وود Grant Wood قد اعتنق الاسلوب الدانيمركي او ان هذا الفنان قد تأثر بيكاسو وهذا يستويان في الحكم على التحفة الفنية .

●

القطط الخاطئات لديمو



بنات الثورة لوود

●

الحقيقة العامة الوحيدة التي نستطيع ان نقول بها هي ان الفن الاميركي يمثل جميع المذاهب الفنية وان المتاحف والمعارض الاميركية متحررة تماماً في تشجيعها للفنانين على اتباع مذهبهم الخاص دون خضوع لاي مقاييس موحدة وهذا ما ساعد على قيام محاولات في التعبير الشخصي منها الجيد ومنها الرديء على انها بمجموعها تخلق جواً من التنوع .

من دراسة التصوير في اميركا نستطيع ان نستنتج على الاقل نتيجة واحدة وهي انه اذا كان من ديمقراطية في الفن فانها لا تنشأ في الاقليمية الضيقة ولا في وضع مقاييس موحدة للفن . فان الديمقراطية تفترض اولاً : احترام حرية الخلق واحترام الشخصية الفردية لكل فنان .

ثانياً : حق كل فنان في التعبير عن نفسه كما يشاء .

ثالثاً : الاعتراف بأن النظرات المختلفة الى القضايا هي امر لا بد منه في عالم متغير .

رابعاً : الاقرار بان الحركات المستحدثة لا يمكن ان تفهم الا نتيجة لدرس جدي مستمر بعقل منفتح على مدى من الزمن .

على ان هذا كله هو مقدمة للقول ان تقدير تحفة اميركية لا يختلف عن تقدير اي قطعة ثانية في اي بقعة من الارض . ولهذا احب ان اعرض بعض المقاييس لتقدير القطع الفنية من اميركية وغيرها ثم اترك لكم درس الصورة الاميركية التي جلبتها معي (1) على ضوء هذه النظريات فتكونون فكرتكم الخاصة عن الفن الاميركي الحديث .

على ان هذه المقاييس لم تولد عندي بين ليل وضحاه كما ولد «جينو» من اهداب «جوبيتار»، ولكنها تكونت ونمت في خاطري خلال مدة طويلة من الدرس الفني، اضف الى ذلك ان

(1) لقد عرض المحاضر على الحضور اكثر من مئة لوحة من التصوير الاميركي تجدون بعضاً منها مع هذا المقال .

هذه المقاييس هي شخصية تحكمية وعلى كل من لا يتفق معي فيها ان يكون لنفسه المقاييس التي يريد.

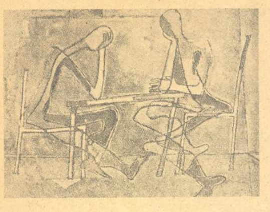
بعد هذه الملاحظات استطيع ان اعرض بشكل رؤوس اقلام خمسة مقاييس ، اعتقد انها تساعد في الحكم على القطعة الفنية أهي ذات قيمة خالدة ام لا .

اولاً : هل المادة متلائمة مع الشكل ؟ ان المادة والشكل لا ينفصلان في القطع الفنية الكبيرة . وبكلمة ثانية ان التحفة الفنية يعبر عنها بالشكل الذي تراها فيه لان الفنان يعتقد ان هذا الشكل هو الاقرب الى المادة التي يعبر عنها وليس لانه يريد ان يكون مثيراً للاعجاب او مختلفاً عن غيره .

فالتكنيك او الطريقة يجب ان يكون الواسطة لا الغاية في الفن والا يصبح حذاقة ، فالمهم في الفنون ليس ما يريد الفنان ان يقول ولكن كيف يقوله .

ثانياً : هل هو مبتكر ؟ التحفة الفنية مبتكرة لانها من صنع فنان يعبر فيه عن شخصيته الفريدة فهو التعبير الشخصي القائم على

صيد في المنام . لافرجود



لاعبو الشطرنج . لمولر

الابداع وليس على التقليد .

على ان التشابه بين انتاج فنان وفنان ليس بالدليل الكافي على ان احدهم مقلد ، فالابتكار لا يكون دائماً في الاختلاف على القطع الثانية وانما يكون في تواؤم القطعة الفنية مع نفس المؤلف .

ان الدقة في الاخراج مهما كانت بالغة اذا استعملت في نسخ صورة عن صورة لا يمكن ان تؤدي الى خلق تحفة خالدة لانها تكون كناية عن تمرين في الاخراج وليس ابداعاً فنياً .

ان تطور الاساليب في الفن نشأ عن تبدل الاذواق وتبدل الاوضاع الاجتماعية وفوق هذا كله عن توق الى وسائل جديدة للتعبير ، فقد قال احد كتاب هذا العصر وفنانيه : « ان الفنان الحقيقي يفضل ان يسك النقود التي يتعاطى بها من ان يستعمل نقوداً بريت من التداول في الاسواق .

ان الابتكار لا يعني التحذلق ، فالحذلقة تدل على السطحية ، ولا يمكن ان تعبر عن شعور عميق .

والابتكار ليس في ان تختلف في ترتيب حقائق معروفة او استعمال الوسائل المبتذلة في التعبير ، وانما هو تعبير الفنان الصادق عن نظرته الى الحياة .

ان عالم الفن مؤلف من مبدعين ومقلدين واذا لم يكن بوسعنا ان نضع الابداع في درجة اسمى من التقليد فيمكننا على الاقل ان نعترف ان الابداع ينطلق بالفن الى الامام ، الشيء الذي لا يستطيع التقليد ان يفعله .

ثالثاً : هل تساهم هذه القطعة الفنية في تقدم التعبير الفني ؟ لا يكفي ان تكون التحفة مبتكرة ولكن هذا الابتكار يجب

ان يضيف شيئاً الى تقدم الفنون. ان القطعة التي هي مجرد ترداد قصة قديمة في كلمات قديمة لا تضيف شيئاً الى التقدم الفني مهما كانت ناجحة.

ان المصور المقلد، يصور (بكليشاهات) كما يتحدث بعض الناس (بكليشاهات)، ان هذا التصوير كهذه الاحاديث كناية عن شيء مبتذل، فمن اكبر الاخطاء التي تضعف القطعة الفنية هو اللجوء دائماً الى الاساليب المتبعة في التعبير التي تخفي وراءها شخصية الفنان.

ان مجرد العواطف والاحساسات والتنميق لا تضيف شيئاً الى التقدم الفني وان تكن ملذة بحد ذاتها لان التحفة الفنية لا تقوم على كونها ملذة وانما يجب ان يكون فيها ابداع.

رابعاً: وهذا يقودنا الى المقياس الرابع هل في القطعة ابداع؟.

ان الصورة الشمسية ليست قطعة فنية لانها تلتقط الاشياء كما هي دون ابداع، على ان الصور الشمسية تصبح فناً اذا كان المصور فناناً يعرف كيف يرتب ويختار المواضيع.

ان الابداع في الفن هو تعليق الفنان الخاص على المشاهد التي تحيط به في العالم. هناك خطأ عام في كثير من الصور انها تحاول نقل الاشياء كما

المهرّج لشغال



هي نقلاً فوتوغرافياً مهملة عنصر الابداع في الترتيب والاختيار.

وهنا نجد كذلك ان المهارة في الاخراج لا تكفي لرفع قطعة فنية الى عالم الفن اذا خلت من الخيال المبدع، فانها تكون مجرد تمرين على الاخراج.

ان الابداع في الفن يعكس حيوية الفنان، ومقدرته على اظهار الخلجات النفسية والتحسسات التي يوحيها اليه الموضوع، فبدون هذه الحيوية تصبح الصورة مجرد تصوير ظاهر للاشياء. قد يكون جميلاً في ذاته ولكن تنقصه المتعة الفنية.

وبكلمة ثانية ان الابداع في التصوير هو احساس الفنان الخاص بالموضوع الذي يختاره ويعبر به عن نظرته الى الحياة.

خامساً: هل في القطعة الفنية اخلاص. هل كل فنان يصور لانه يشعر برغبة في التصوير ام انه اراد ان يثير الاعجاب؟ أيصور لانه يجب ان يصور كما يشعر الحسون بميل الى الزقزقة والغناء. او انه يصور من اجل التجارة.

ان الاخلاص في الفن مثل الابداع يجب ان يصدر من اعماق الفنان معبراً عن نظرته الشخصية واحساسه الداخلي بالحياة.

ففي عالم متقلب يصبح وضع الفنان حرجاً فعليه ان يجد دائماً المعاني الباطنية لهذه الاشياء، وقيمها بالنسبة اليه ثم يعبر عنها في انتاجه باخلاص ووضوح ودون خداع.

فاذا التزم هذه المقاييس يكون انتاجه مخلصاً.

الخلاصة

بناء على هذه المقاييس الخمسة يمكننا ان نحكم على الفن الاميركي وغيره من الفنون على اساس اصدق من الاستسلام للذوق الشخصي. يجب ان نتذكر دائماً اننا في مرحلة انتقال من القديم الى الحديث، ليس في اميركا فحسب بل في جميع اقطار العالم، فالعالم اليوم مزيج من اختبارات متضاربة فترى العقائد القديمة تفقد القوة الموجهة وراءها ليحل محلها جيش من العقائد الجديدة.

فهل تنعكس هذه الحقائق من مجتمعنا في انتاج فنانينا، او انهم ينتجون كانهم يعيشون في العصور القديمة الهادئة.

قال احد النقاد الاميركيين: «لا يوجد اليوم مقياس واحد تقاس عليه قيم الفن الحديث، فقد انجرف في التيار الحديث الذي يقوم على الحق المطلق في التعبير الشخصي فنجد اليوم في اميركا ان للتلميذ المبتدىء الحظ في كسب ثقة النقاد اكثر من محترف مشهور.»

ولعل هذه الجملة الاخيرة هي اصدق تعريف للفن الاميركي الحديث.

ليلى لويس

بين ربوات نجد والنهر

بقلم عيسى ميخائيل سابا

*

هوى لا جميل في بثينة ناله … بمثلي ولا عبد بن عجلان في هند

هذا بيت لبلبل العربية المفرد، البحتري، من شعراء الطبقة الاولى في العصر العباسي حفظ لنا ذكر جميل وبثينة، وخبرهما لدى الادباء معروف بما وقع لهما من حب وتدله .

واما عبدالله بن عجلان وهند فما تناولتها الاحاديث في ما ازعم الا لماماً، فمن هما ؟ وما خبرهما ؟

وقبل ان اقص شيئاً من خبرهما، هلم نطو الصحراء العربية، بمراق الفكر، نسير على الرمال الوعثاء، في نقاً متهيل، ننتقل بين المضارب، ونشهد الكرم العربي عن كثب، وعزة النفس والشمم عن خبر، واغاثة الملهوف، والفزع عند الصرخة .

هنالك في قلب الصحراء، تحت السماء المشرقة، والرمال المحرقة، قلوب امضها الجوى، ونفوس اشقاها الحب، وتحكمت بها ارادة لا ترد .

فالعربي، اذا وعد وفى، واذا أحب ضمن، فلا يخلف وعداً، ولا يحنث بيمين .

واني امرؤ مني الوفاء سجية … وفعال كل مهذب بذال

وتعال معي، بعد ان وصلنا الصحراء، بعين الفكر ننتقل بين كثبانها ووهادها، فهذه واحة، وهذا عراء قاحل، فحث الركب وجد المسير لنصل، ذلك البلد الطيب الامين «نجداً» ورددد مع الشاعر القديم :

تزود من شميم عرار نجد … فما بعد العشية من عرار

وهنالك فوق مرتفع تمثل عبدالله بن عجلان قد نزل عن صهوته، يستريح من وخد المسير وقد جد في طلب ضالة ندت، فشارف ماء يقال له نهر غسان .

وكانت عادة الرعابيب الخفرات من العرب، ان يقصدن النهر متهودات في مائه النمير، عابثات في عرض مجراه المتدفق . وكان في جملة اولئك الرعابيب هند بنت كعب بن عمرو بن ليث النهدي، خلعت ثيابها هي وصويحباتها، ونزلن الماء يتخبطن بمائه ويتراشقن لاعبات، عابثات، ضاحكات، منشدات :

الماء، والنور … بدفقهما الرقراق
والبين والحبور … عرائس الآفاق
والنفح معطار … والقلب في اشراق

وعبدالله بن عجلان على ربوة، ينظر اليهن على تلك الحال، ولا تسل عن خفقات القلب وتقطع اللهاث، وشخوص العينين، وارهاف السمع، تواريه شجيرات من الجنجاث والعرار .

صعدت الرعابيب الخفرات من الماء وما بقيت غير هند، وكانت طويلة الشعر – كما تخبرنا الرواية – فاخذت تعمل به المدرى فتمشطه وتسبله على بدنها، وهو يتأمل شغوف بياض جسمها من خلال سواد الشعر الغدافي، ونهض ليركب راحلته، واذا هو عاجز متراخي القوى، وكان في ما يقال فارساً من فرسان العرب المساعير، تصف له اربع رواحل قائمة، فيجتازها ويعلو الرابعة، ولكن الحب وما ادراك ما الحب، قد اعجزه وعطل حركاته فقال :

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة … اذا شئت لمساً للثريا لمستها
اتتني سهام من لحاظ فارشقت … بقلبي ولو اسطيع رداً رددتها

وانها والله الضالة التي لا ترد، ثم عاد وقد تمكن الهوى منه، وبات والليل اطول ما يكون عليه، وكيف يبث لواعج قلبه وليس من يأمنه على سره غير صديق حميم، فجمع نفسه وتحامل قواه

ابن خلدون ابو الاجتماع

بقلم محمد وهبي

★

بس المقصود من لفظ « الاجتماع » هذا ، الهيئة الاجتماعية ذاتها ، كما قد تعني صيغة العبارة ، ولكن المقصود « علم الاجتماع » الذي يدرس احوال هذه الهيئة وقوانين تطورها . وليست الغاية ايضاً من صيغة هذا العنوان التي تتعارض مع كنية « اوغست كونت » المعروف « بأبي الاجتماع » ، احداث نوع من الدعاوة الرنانة الفارغة والقائمة على الاعجاب او التأييد الاعتباطي ، ولا القيام بضرب من التحدي والافتراء . انما هي حقيقة بدت لنا بعد البحث جلية ناصعة ، فوددنا احالتها على القارىء الكريم مع ما يرافقها من الادلة والشواهد البينة .

ومحور الموضوع كما نرى هو تأسيس علم الاجتماع ، وعلى يد من تم هذا التأسيس حتى يستأهل بحق وجدارة كنية « ابي الاجتماع » ؟ والواقع انه موضوع واضح المعالم ، بيّن الشواهد الكل من اتيحت

يقصد ذلك الصديق ويبثه ما بذات صدره ، وصل وقص .

فقال له الصديق ، اكتم ما بك واخطبها الى ابيها ، فانه يزوجك بها ، وان انت اشهرت حبها حرمتهـا ، فانتصح عبد الله وعمل بنصيحة صديقه .

وكان كلام وكان قبول فزواج وأقاما على احسن حال في مدى ثماني سنوات ، لا يزداد كل بصاحبه الا شغفاً وغراماً وحباً واعجاباً ، وقضى ربك ألا تكون هند إلا عاقراً . وعجلان ابو عبد الله مثر ، له المال في المراعي والواحات في الصحراء ، وليس من يرث المال من بعده الا ولده عبد الله ، فاقسم عجلان على ولده ان يتزوج من غيرها طلباً للولد وحفظ النسب والمال ، فعرض عبدالله الامر على هند فابت ان تضار .

رجع عبد الله الى ابيه وتوسل اليه ان يعفيه من الاضرار ، فأبى واصر الوالد وخرج عبد الله من عند ابيه وفي القلب ما في القلب من ألم الجوى ، واقر الا يفارق هنداً الا بالاجل المحتوم .

وقد أخبر عجلان ذات يوم ان الخمرة قد دبت في اعصاب عبد الله ، فارسل اليه يدعوه وعنده اكابر الحي . وصل الرسول وبلغ عبد الله ارادة ابيه ، فمنعته هند وقالت : والله لا يدعوك لخير ، وما اظن الا انه عرف بسورة الخمرة في رأسك ، ولا بد من ان يعرض عليك الطلاق ، ولئن فعلت لمت ، واظن انك فاعل .

خرج عبد الله يطلب بيت ابيه وعنده اكابر الحي ، فما كاد يجلس ويستقر به المقام حتى اقبل عليه الجمع يعنفونه ويتناوشونه من كل مكان فاستحى ، ولبى ارادة الوالد فطلق ثلاثاً ، اتصل الخبر بهند ، فاحتجبت عنه ، وخرجت تطلب اهلها ، واما صاحبنا عبد الله فقد غم وندم وما زال شوقه ينمو ، ووجده يسمو حتى لزم الوساد وكان قضاء الاجل به ، ولسان حاله يقول :

طلقت هنداً طائعـاً   فندمت بعد فراقهـا

فالعين يذرف دمعها ،   كالدر مـن آماقهـا

متحلباً فوق الثرى ،   وتجول في رقراقهـا

خود رداح طفلـة   ما الفحش من اخلاقها

ومن قوله المشهور فيها :

خليلي زورا قبل شحط النوى هندا   ولا تأمنا من دار ذي لطف صد ا

ولا تعجلا لم يدر صاحب حاجة   أغياً يلاقي في التعجل ام رشدا

غداً يكثر الباكون منا ومنكم   وتزداد داري من دياركم بعدا

هذا ما تساقط من خبر عبدالله بن عجلان واما هند فقيل انها ماتت قتيلة شوق وقيل غير ذلك ، وكم في العالم من عبيد الله ، وكم من هندات وكم فيه من امثال عجلان رحم الله المحبين وغفر لعجلان .

عيسى ميخائيل سابا

له قراءة مقدمة ابن خلدون ، فضلاً عن المام ولو بسيط بمبادىء الاجتماع الحديث .

فعلم الاجتماع بوضعه الحاضر حديث النشأة، اذ لم يتخذ شكله كعلم اساسي مستقل الا في الربع الثاني من القرن التاسع عشر . وقد كان ذلك على يد المفكر الفرنسي « اوغست كونت » ، الذي كان – على ما يُعتقد – اول من اتخذ « الاجتماع » موضوعاً لعلم مستقل ، واول من استطاع تأسيس هذا العلم على قواعد علمية اثباتية . وهو الذي ابتدع واستعمل كلمة « السوسيولوجيا » (La Sociologie) لتسمية هذا العلم الجديد .

والجدير هنا بالذكر أن الذين اعتبروا « اوغست كونت » مؤسساً لعلم الاجتماع ، لم يقولوا ذلك لاعتقادهم انه كان اول من درس الحادثات الاجتماعية ، بل انهم قالوا ذلك لاعتبارهم انه كان اول من نظر الى المجتمع ككل ، فاتخذه موضوعاً لعلم مستقل قائم بذاته .

على اننا اذا اعتمدنا هذا الاعتبار لا يصعب علينا انصاف ابن خلدون الذي فعل كل ذلك ، قبل ان يؤلف « كونت » دروسه في الفلسفة الاثباتية بمدة تزيد على اربعمائة وستين عاماً .

فقد اعتبر ابن خلدون المجتمع موضوعاً اصيلاً جديراً بدراسة علمية مستقلة ، وكان ذلك في القرن الرابع عشر الميلادي . والمدهش ان نظارة ابن خلدون الى هذا الموضوع ، وتصوره لكيفية دراسته لا يختلفان في اي شيء عن نظارة العالم للعلم وعن مناهج بحثه واستقرائه . ولتوضيح هذا ، نرى ان نذكر بالخصائص الاساسية المميزة لكل علم من العلوم ، فنوردها في ثلاثة بنود .

فالخاصة المميزة الاولى او الشرط الضروري الاول لتكوين علم من العلوم هو – كما نعلم – وجود موضوع اوغرض اصيل اي (Original) ، بمعنى ان لا ينحدر او يعود الى اي علم من العلوم الاخرى .

والخاصة الثانية هي دراسة هذا الموضوع من الوجهة الوصفية او النظرية البحتة ، لا من الناحية التطبيقية او العملية ، تلك الناحية التي تتعدى وصف طبيعة الوقائع والاحداث ، الى بحث تكييفها وتعديلها في سبيل الوصول الى احوال احسن او انفع .

والخاصة الثالثة هي خضوع هذه الدراسة لمبدأ التعين او الحتمية العلمية (Le déterminisme scientifique) الذي يقرر ارتباط الحادثات الطبيعية بنسب ثابتة وعامة ، اي بقوانين شاملة بالضرورة ، بحيث لا تقبل التغير مطلقاً ، ولا تدع مجالاً لحصول الاعتباط او المصادفة .

على ضوء هذه الخصائص نستطيع ان نبحث مقدمة ابن خلدون لنستجلي قيمة آرائه بالنسبة لعلم الاجتماع ، ونرى ما اذا كان حقاً اولى من غيره – كما نعتقد – بلقب المؤسس لهذا العلم .

اما من جهة الخاصة الاولى فقد قال ابن خلدون في مقدمته بوجوب اتخاذ « الاجتماع الانساني » موضوعاً اصيلاً لعلم مستقل ، وسمى هذا العلم باسم خاص « علم العمران » وتنطبق هذه التسمية على موضوع هذا العلم انطباقاً تاماً ، بدليل تحديده لمعنى العمران بقوله : « هو التساكن والتنازل في مصر او حلة ، للانس بالعشير واقتضاء الحاجات » بل ان هذه التسمية تكاد تكون اصلح تسمية عربية لهذا العلم . لاننا نستعمل الآن اسم « علم الاجتماع » ترجمة الكلمة «Sociologie» الفرنسية او « Sociolgy » الانكليزية ويظهر قصور هذه الترجمة عند محاولة تعريب الصفتين : « Social » و « Sociologique » ، فكل منهما نترجمه الآن (اجتماعي) مع ان الصفة الاولى خاصة بالحياة الاجتماعية والثانية خاصة بالعلم ذاته . وللتمييز بينهما يمكن ان نعرب الاولى بلفظ « اجتماعي » والثانية بلفظ « عمراني » ، اي ان انسب تعريب لكلمة «Sociologie» هو « علم العمران » الذي قال به ابن خلدون .

وقد كانت دعوة ابن خلدون لانشاء هذا العلم المستقل الجديد صريحة ومؤيدة بالدليل الواضح حيث يقول : « اذا كانت كل حقيقة متعقلة طبيعية ، تصلح ان يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها ، وجب ان يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة ، علم من العلوم يخصه » ويعني هذا انه لما كان العمران البشري او الهيئة الاجتماعية حقيقة قائمة بنفسها وقابلة لدرس عوارضها لذاتها ، فانه يجب اعتبار هذه الهيئة من خصائص علم خاص ، قائم بنفسه كذلك .

وليس ادل على ما نذهب اليه ، من ان ابن خلدون عني بالتمييز الصريح الواضح بين هذا العلم وما يكتنفه من سائر العلوم التطبيقية او الفنون كالسياسة والخطابة وغيرهما .

اما من جهة الخاصة الثانية ، فقد دعا ابن خلدون الى دراسة هذا العلم من الناحية الوصفية الخالصة . ويتجلى ذلك في قوله : « يجب ان ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ، ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه » وفي قوله : « للعمران طبائع في احواله » فالمعنى الواضح لهاتين العبارتين هو ان ابحاث علم العمران لا تتعدى نطاق الوصف والتحليل النظري .

هذا خصوصاً وان كلمة « طبيعة » قد جرى استعمالها في مقدمة

ابن خلدون بكثرة بالغة تؤيد ما نذهب اليه . فمن تعابيره المتردد ذكرها : « طبيعة العمران »، « وطبيعة الملك »، و«طبيعة العصبية» و« وطبيعة الوجود ». وحسبنا من آرائه نظريته المشهورة في « عمر الدولة » التي تبناها بجملها فيما بعد العلامة الفرنسي « مونتسكيو » فقد قال ابن خلدون ان للدولة عمراً مثل عمر الانسان ، وقسم هذا العمر الى مراحل وادوار شبيهة بمراحل عمر الانسان ، التي تبدأ بالولادة ، وتتدرج نحو الحداثة ، فالفتوة وعنفوان الشباب ، فالكهولة وحكمتها ، فالهرم والشيخوخة ، ثم الزوال .

فدراسة الدولة من هذه الناحية، ليست كدراسة افلاطون او غيره ممن سبقوا ابن خلدون في الزمن ، فجعلوا همهم علاج الاحوال الاجتماعية ، وبيان الاصلاح منها . لقد كانت مهمة ابن خلدون الاولى والاخيرة ، وصف هذه الاحوال وتعليلها ، مع الاحتفاظ بوضعها الطبيعي ، وبقائها كما هي تماماً .

ويجرنا بحث هذه الخاصة بطبيعة الحال، الى بحث الخاصة الثالثة المتعلقة بقانون « الحتمية العلمية » ، وهل قال ابن خلدون بخضوع علم العمران لهذا القانون . ان نظرية ابن خلدون في عمر الدولة لم تقم الا على اساس هذا القانون ، بحيث انه اعتبر كل مرحلة من مراحل عمر الدولة ناتجة بالضرورة عن المرحلة السابقة لها ، ومؤدية حتماً الى المرحلة التي تليها . وقد صرح لنا بوضوح انه انما يبين في كتابه — على حد تعبيره — « ما يعرض للبشر في اجتماعهم من احوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع بوجوه برهانية » ، وذلك على اساس اعتقاده ان الاحوال الاجتماعية تتأتى من « علل واسباب » ، وان هذه العلل والاسباب تعود الى « طبيعة الاجتماع » وليس ادل على هذا من قوله في فصل « انقلاب الخلافة الى الملك » : « الملك غاية طبيعية للعصبية ، وليس وقوعه عنها باختيار ، انما هو بضرورة الوجود وترتيبه » .

بعد هذا البحث القصير يتضح لنا ان ابن خلدون قد تصور فعلاً « علم الاجتماع » كما تصوره تماماً « اوغست كونت » والعلماء المحدثون بحيث اعتبره علماً نظرياً مستقلاً ومتميزاً عن اي علم تطبيقي كالسياسة والاقتصاد السياسي او الاخلاق وغيرها . ولم يكتف ابن خلدون بوضع هذا الاساس ، بل اكتشف كذلك بعض القوانين الاجتماعية التي نضرب عنها صفحاً لضيق المجال .

وان فضل ابن خلدون في كشف علم مستقل في ميدان المعرفة ليتضاعف ويتسامى اذا لاحظنا ان الاجيال التي عقبته عجزت لا عن متابعة مجهوده بل وعن فهم اتجاهه نفسها . وظل هذا العجز مدة اربعة قرون لم يتقدم في اثنائها مفكر لا في الشرق ولا في الغرب برأي او فكرة عملية في تنظيم الدراسات الاجتماعية والاشارة الى حاجة الانسانية الى علم خاص للاجتماع والعمران . فكان ذلك حجة ناطقة وبرهاناً قاطعاً، على ان عقلية ابن خلدون ارقى من عصره بل اسبق من العصور التي تلته . فقد ظهر « مونتسكيو » في القرن الثامن عشر وكشف في مؤلفه القيم « روح القوانين » (L'Esprit des Lois) عن عدة ظواهر اجتماعية ، وأبان الصلات التي تربط النظم السياسية من جهة والنظم الاقتصادية والعائلية والتعليمية والاخلاقية من جهة اخرى ، ومقدار ما تؤديه النظم السياسية لاشباع حاجات المجتمع . ومع ذلك فقد غاب عن « مونتسكيو » انه يبحث داخل الدائرة التي كشفها ابن خلدون، الذي اعتبر كلاً من الحياة السياسية والحياة الاقتصادية والحياة الفكرية ظاهرة اساسية في كيان المجتمع ، وبحث العلائق التي تربط هذه الظواهر بحثاً مستفيضاً ، ولم يخطر للعلامة الفرنسي ان اتجاهه هذه تندمج في ثنايا علم هو « علم الاجتماع او العمران » الذي نهض على اكتاف مفكر عربي هو ابن خلدون، هذا مع التسليم بتفوق « مونتسكيو » من حيث دقة التفكير وتنظيم الحقائق وحسن ترتيبها وتسلسلها بفضل تقدم الحياة العلمية في عصره، وتوفر وسائل البحث والتفكير والانتاج ، مما لم يتهيأ كله لابن خلدون ، ومما يضاعف فضله .

ومن عجب ان يظهر بعد ذلك « اوغست كونت » في القرن التاسع عشر ويدعو بعد ابن خلدون بخمسة قرون تقريباً الى تكوين « علم الاجتماع » ، فتلقى دعوته تأييداً وقبولاً واعجاباً ، ويظفر « اوغست كونت » بلقب « ابي الاجتماع » وهو لقب جدير بابن خلدون .

وفوق ذلك فان جميع المؤلفات الخاصة بعلم الاجتماع تغفل كل الاغفال حتى مجرد الاشارة الى اسم ابن خلدون عند التعرض الى تاريخ هذا العلم، بالرغم من كثرة ما كتبه عنه المستشرقون كمؤرخ وفيلسوف واجتماعي .

لقد آن لنا ان ننصف ابن خلدون، بعد ان جرنا عليه ردحاً طويلاً من الزمن ، فتجاهلناه في ميدان علم الاجتماع ، ذلك العلم الذي قلّ ان نجد اليوم بيننا من يرد اصوله الى ما قبل ظهور « اوغست كونت » في القرن التاسع عشر . وانما يجدر بنا ان نعترف بعبقرية ابن خلدون وفضله في تأسيس هذا العلم ، وان نرد له حقه الصريح الواضح بكنية « ابي الاجتماع » .

محمد وهبي

موباسان الفيلسوف

بقلم خالد العثماني

☆

كانت تنفق ليالي الشتاء الطويلة الى جوار المدفأة تحلم وتتأمل في رماد الذكريات. لقد كانت وحيدة حقاً منذ مات اخوها الشاعر وهو مـا يزال في ضحوة العمر . وتركها للدموع والحسرات والعذاب الدائم .. ولزوج يحمل الاسم العريق – دي موباسان – ويقضي لياليه مخموراً من امرأة الى امرأة ..

وفي عام ١٨٥٠ عندما رزقت « بغي » بدأت تشعر ان الحياة قد ابتسمت لها وان ما تبقى من عمرها قد يكون سعيداً ان اصبح « غي » رجلاً كاملاً غير الرجل الذي تحطم في زوجها .. والشاعر الذي تمتد فيه عبقرية اخيها الذاهب .

ومن اجل هذا الامل العزيز صبرت على معاشرة رجل مجنون، عصبي شرس .

وحياة غي دي موباسان تتسم بالبساطة .. واسمه لا يقترن الا بفنه القصصي بخلاف بعض الكتاب الفرنسيين الذين كانت حياتهم صاخبة مؤثرة ..

وكان « غي » يفر مع اول شعاع من الفجر الى البحر الذي يحتضن قريته – نورماندي – مالئاً رئتيه بالهواء البارد ، وعلى صخرة من الشاطىء يجلس الى احد الصيادين ليسمع منه مغامرة الليلة السابقة ، وينطلق بعد ذلك بين الخلجان كأنه احد طيور البحر .

وهكذا قضى « غي » طفولته يسمع قصص الملاحين والفلاحين ويرقص مع العذارى في الاعياد القروية ، تحت ظلال شجر التفاح ! ويتناول طعامه من الجبن في اي مكان وفي اي منزل ويثب خفية الى احد زوارق الصيد فيبعده الملاح الى البر .

ويعود بعد هذا الى امه ليحدثها عن شغفه العظيم بأن يقلع في فجر يوم من ايام الربيع الى مرفأ مجهول .

وادركت الام ان المغامرة واحلام البحر قد بدأت تفسد خيال بطلها الصغير فعجلت بارساله الى مدرسة داخلية يتعلم فيها اللاهوت .

وذات ليلة .. نزل الى مخزن النبيذ المقدس وحطم دناً مختوماً ودعا رفاقه الى وليمة شراب فاخرة – إلهية – وتنبه القسيس على الصخب فذهب مرتجفاً وطرد « الشياطين الصغار » من المدرسة . الى الحرية ، والمروج الخضراء ، والبحر ، مرة اخرى .

بدأ بالكتابة في سن الثالثة عشرة وتلقى قليلاً من العلوم المتوسطة حين تبين انه لم يعد طفلاً ، وان عليه ان يحقق احلام امه بأن يصبح محامياً وشاعراً لفرنسا ..

ودخل الحقوق .. غير ان حرب السبعين نشبت في ذلك الوقت فالتحق بالجيش ، ولم تكن حياة الجيش باهرة على اي حال فقد هزمت فرنسا في معركة « سيدان » واخذ الجيش يتقهقر الى باريس .

وعندما كانت الامجاد العريقة تهوي تحت سنابك الخيول الزاحفة .. كان « غي » يحلم بالثأر والانتقام من الغزاة .

وانسحب « غي » الى باريس مع فلول الجيش المهزوم وهو يحمل اشعاراً وآمالاً لا تنتهي ، وافلاساً لا مزيد عليه .

وفي غرفة من سطح منزل قديم تتساقط عليها الامطار ... انفق « غي » لياليه يقرأ ويكتب اشعاراً وفي الصباح يسمعها لزملائه

الموظفين في وزارة تملأ مكاتبهـا الاوراق والفئران – وزارة الدفاع .

ومضت السنون فاذا به في الثامنة والعشرين ولم يصنع بعد شيئاً مما يصنعه الآخرون . . ولمـا بلغ الثلاثين نشر ديواناً من الشعر لم تهتز له باريس ولم تتنهد من اجله عذراء واحدة ، وكل ما حدث ان البوليس قبض على الشاعر –ببساطة– وقدمه الى القضاء !!

وسمع « فلوبير » بقصة الديوان فتمنى لو تعرف الى الشـاعر الجريء الذي يغازل النساء ويتحدث امام الزوجات والازواج عن خفايا حياتهم الزوجية ويكهرب كل مكان يحل فيه ! .

واخيراً عثر عليـه « فلوبير » في احدى الحفلات فحياه وتحدثا قليلاً . . ومنذ تلك الليلة الى سبع سنوات فـيما بعد لم يفترق الرجلان ، ففي كل يوم كان « غي » يحمل انتاجه الى فلوبير ويتابع القلم الاحمر وهو يجول ويصول على اوراقه والاستاذ يهمهم : جميل جداً ولكن تعود ان تتأمل . .

واشتهر « غي » كقاص اثر نشر قصته « البدينة » عـام ١٨٨٠ ثم اصبح كاتباً بالمهنة وكثر انتاجه وصار يصدر كل سنة كتابين او ثلاثة واخذ فن الكتابة عن «فلوبير» و«ايفان تورغنيف» .

ثم بدأ بعد ذلك يتسلق سلم الشهرة . . ففي احد الصالونات كان جمع من امراء الكتابة يتسامرون وكان بينهم تورغنيـف وفلوبير . . وامام اقداح الشمبانيا الفاخرة جلسوا يتحدثون عن الحياة والحب والفن . . فقالت صاحبة المكان بدلال شائق :

– اني لاعجب حقـاً كيف تمر حرب السبعين دون ان يهتز كاتب واحد منكم يا سادة . كفى حديثاً عن الرجال والنساء وليكتب كل منكم قصة واحدة فقط يمجد فيها بطولة الشعب الفرنسي .

وبعد شهر عادوا الى السيدة وفي يد كل منهم قصته فاقترح فلوبير ان يبدأ تلميذه بقراءة قصته . وكانت : « ليالي ميدان »! .

ولم يكد ينتهي من نصفها حتى قام فلوبير وتورغنيف وحملا قصة موباسان الى اكبر ناشر في باريس ! وظلا يتحدثان عنها في الصحف حتى ظهرت في المكتبات فتخطفها الناس .

وهكذا وجد « موباسان » نفسه ذات يوم اشهر كاتب في فرنسا ! . وفتحت له المجلات الكبرى صفحاتها الممتـازة . . وفلوبير وتورغنيف يصفقان له ويقودانه من نجاح الى نجاح .

واطرف ناحية في حياته الكتابية تلمذه على فلوبير وتورغنيف وفي مدرستي هذين الكاتبين العظيمين ، وهما من اساطين المذهب الواقعي الانتقادي في الادب .

تكوّن موباسان كفنـان وورث عنهما الشيء الكثير من اذواقهما الفنية وغاها وقد اوضح موباسان – في مقـالاته عن فلوبير – كيف تلقى عنه نظراته الادبية ، واتقن اسـاليبه في التأليف ، ودقته في ملاحظة الناس ، ومقدرته في تفهم مظاهر الحياة والاشياء ، وبراعته في استعمال لغة دقيقة واضحة موسيقية .

ففلوبير علم موباسان الكد والاجتهاد والمثـابرة وحب الفن وكان له الاثر الكبير لا في اعمـاله الادبية فحسب بل وفي آرائه الاجتماعية والفلسفية ايضاً .

اما استاذ موباسان الثاني ايفان تورغنيف ، فقد وصف موباسان تآليف تورغنيف وطريقته الادبية وبيّن مقامه العالي كروائي كبير وقصصي قدير واظهر فيهما اعجـابه وشدة تأثره بالاديب الروسي المهـاجر حتى انه قدم مجموعة قصصه المستهلة بقصة « بيت تيليه » بقوله : « الى ايفان تورغنيف اعترافاً بتعلقي به واعجاباً بفنه العظيم » .

فتورغنيف أثار في تلميذه الاهتمام بالآداب الروسية ، وشجعه على مطالعة مؤلفـات « بوشكين » و « غوغول » و « تولستوي » وغيرهم من رجالات الادب الروسي العالميين .

اما طريقة موباسان في الكتابة . فقد نهج في باكورة اعماله الادبية نهجاً معقداً متناقضـاً ففي سنتي ١٨٧٩ – ١٨٨٠ كان معظم انتاجه شعراً ثم ظهر ديوانه عام ١٨٨٠ في عـام واحد مع مجموعة قصصه « ليالي ميدان » واروع قصة في هذه المجموعة هي قصة « البدينة » فقد اعجب بها القراء اعجاباً عظيماً وجلبت للكاتب ذيوع الصيت والشهرة مما حمله على الاستقالة من وظيفته وتكريس نفسه للادب فكانت الحقبة الواقعة بين سني ١٨٨١ – ١٨٩١ حقبة ازدهار انتاجه الادبي فقد وضع خلالها اكثر من ثلاثمـائة قصة وست روايات وثلاثة كتب في السياحة وعدداً كبيراً من الابحاث والمقالات .

فمجموعة رواياته الاولى تشهد كلها بأن ميوله الادبية الواقعية تسير سيراً حثيثاً في اتجاه التقاليد الادبية الفرنسية القديمة التي تتميز بالميل الى المرح وحدة الذهن وتتضمن هذه المجموعات الكثير من القصص المطبوعة بروح الفكاهة والنكتة . مثل « بيت تيليه » و« نور القمر » . . حتى ان اناتول فرانس وصف موباسان في مقال يومئذ قـائلاً : انه حفيد الرواة الفرنسيين للقرنين السابع عشر والثامن عشر . » .

ولموباسان فن في السخرية على شكليها : المكشوفة والمستترة .

فسخريته المكشوفة تظهر في وصفه سلوك شخصياته ومظاهرها الخارجية فيتهكم عليها ويزدريها ويضعها في حالات تكون فيها مدعاة للهزء ويعلق على افعالها واقوالها بلسان قارص سليط . اما سخريته المستترة التي تتردد كثيراً في قصصه فهي من ابرز ميزاته الفنية اذ يبدأ فيها كما لو انه قاص متحفظ وتظهر هذه السخرية من تلقاء نفسها ابان تصويره شخصيته في حديثها واعمالها وحقائقهـا المتضاربة . وغالباً ما تكون السخرية المستترة عنده في التناقض القائم بين احلام بطله والحالة الموضوعية الـتي تظهره في مواقف محزنة مؤثرة .

ويتطرق بسخريته المستترة احيـاناً الى القرويين فيصور سلوكهم الاجتماعي الذي يتناقض مع سلوك غيرهم من اهل المدن ويضيف عليه مسحة من الطرافة . وهو لا يقصد بذلك التهكم على القرويين او السخرية بهم .

ويقر موباسان بأن فن السخرية في الادب هو من خصائص الفكر الفرنسي وما هو في هذا المضمار الا تلميذ متواضع لاساتذته الاقدمين . .

اما مجموعته الادبية الثانية التي ظهرت خلال الفترة نفسها فقد نحا فيها منحى انتقاد الحقائق المحيطة بالمجتمع الفرنسي وهي مفعمة بالحزن والالم وتسودها روح السخرية . ومنذ عام ١٨٨٦ اخذت ألوان موباسان الفكرية بالقتام فقل ضحكه وضعف مرحه وتجلى التشاؤم والاسى في كتاباته لان استاذه العظيم مات .

مات فلوبير ! !

وسار موباسان خلف نعشه واجماً يتحسس قلبه ! .

وبدأت اجيال من الموتى تتمدد في عروقه . فهو يفكر في الفراشة التي تعيش لحظات . والحيوان الذي يحيا لايام . والانسان الذي يلبث بضع سنين . والبشرية التي تعمر عدة قرون . . ثم . يزول كل شيء . . . نعم بقيت مدة ايام تشرق فيها الشمس وبعد ذلك تأتي خاتمة المطاف .

وكان الشقاء يزحف بصور من الحياة الغاربة و « غي » يعجب لهذا الكائن المزعج الذي ينبثق من ظلمـات الليل محاولاً خنقه وعبثاً يحاول دفعه بيديه .

أتراه يموت هو الآخر بغير سبب مفهوم ? ? وألهبته الفكرة فأخذ يطوف على الاطباء واصيب بنوبة عقلية حادة .

وعندما يئس من الاطباء وطبهم اخذ يشتري كتب الطب ! . فيقرأ فيها ليالي كاملة . . ولكن سحابة سوداء تهبط بينه وبين الكتاب فيستريح قليلاً حتى يستطيع الرؤية ثم يمسك بقلمه ويكتب .

كانت كتاباته في مجموعة قصصه الثالثة تضرب عـلى وتيرة واحدة يحاول فيها العثور على وجوه جديدة لتعينه على وصف عالم مـا فوق الحس والادراك وفي هذه القصص يقترب موباسان من الرمزيين مع تمسكه بالمذهب الواقعي .

ويبدو انه كان للزمن اثره في « رمزية » موباسان وفي ازمة الواقعية واضمحلالها في القرن التاسع عشر . فبعد حروب السبعين وقيام « الجمهورية الفرنسية الفاضلة » ثم القضاء عليها واغراقها بالدمـاء اصبحت فرنسا « جمهورية بلا جمهوريين » تتطاحن فيها الاحزاب في سبيل الاستيلاء على السلطة .

وانتقلت السلطة بعد ذلك الى ايدي عناصر انتهازية فانتشرت في البلاد روح المحسوبية والتذبذب والرشوة وكثرت فيها الفضائح وسادتها روح استعمارية عنيفة ادت في مطلع عـام ١٨٨٠ الى قيام الوزارة الفرنسية بحربين استعماريتين في تونس والهند الصينية دون استشارة مجلس النواب والراي العام فيهما .

وكثيراً ما كانت هذه الاعمال تثير مقت موباسان وسخطه وقد عبر عن شعوره هذا فيما كتبه في قصته « رجل مومس » .

قال : « كثيراً ما يقول الناس : هذا رجل ممتاز لكنه مومس هكذا يتحدثون عن الرجل المعاصر مرض وطننا . فنحن في فرنسا كلنا رجال متقلبون خبثاء مزعزعو العقيدة سريعو الانفعال ضعاف مثل النساء ، ومجلس نوابنا يعج بالرجال المذبذبين وصحفنا يديرها اناس من هذا الطراز . فالمعنى من ان ترى هو ان تفهم . والمعنى من ان تفهم هو ان تزدري » بهذه الكلمات ادان موباسان رجال عصره فالاوضـاع المحيطة به اثارت في نفسه روح النقمة والقسوة والازدراء كما انها كانت السبب في تشاؤمه وزعزعة ايمانه بالفوز على الشرور الاجتماعية القائمة في وطنه ، وقد عبر عن شعوره هذا في عدد من قصصه . فقصة : « الصديق العزيز » هي قصة النقمة على الجمهورية الثالثة وثلب لنظامها الفاسد ، وقصة « بيير وجان » هي قصة الارث المفاجئ الذي يجلب المآسي الى حياة عائلة وادعة مسالمة .

ويعالج موباسان في مجموعة من قصصه شراً آخر من شرور المجتمع وهو التعطش الى الثراء الذي اصبح ديانة الناس ومن هذه القصص : « الجواهر » وهناك عدد كبير من قصصه تتناول حياة الموظفين وهي خاصة بالتهم والالم . وابطالها اشخاص يعملون من اجل فوائدهم الذاتية فهم من الموظفين المداهنين الذين يرتعدون خوفاً

على وظائفهم ويخشون ان يثيروا عليهم سخط رؤسائهم .

وكثيراً ما كان يتحدث عن « الاشراف البسطاء » لكن اعتقاده بالقدرية البيولوجية نزع منه الثقة بأن الناس البسطاء الاشراف بوسعهم ان يخلقوا ثانية وينقذوا بلاده من التدهور الاخلاقي والاجتماعي فأبطاله هم ابطال لحظة في الحياة ولكنهم ليسوا صانعي هذه الحياة واربابها .

وهنالك مجموعة من قصصه تصف حياة القرية وصفاً دقيقاً واقعياً . يشير فيها الى النواحي المظلمة القاسية في حياة الفلاحين فهو يراهم والبهائم في مستوى واحد ويسهب في وصف عملهم الشاق وجهلهم المطبق وفقرهم المدقع الا انه لا يحملهم وزر ذلك . ويبين كيف تنشأ في هذه الحالات مظاهر الخشونة والبخل والطمع والحسد والمكر . وهو يحمل النظام الاجتماعي السائد تبعة بؤس الانسان وشقائه . وهو يرى ان الوسط القروي هو المكان الذي تعيش فيه الاحاسيس الانسانية السليمة البسيطة . اما مذكراته عن سياحته في الجزائر وتونس التي نشرها بعنوان « تحت الشمس » فهي تصف السياسة الفرنسية في ذينك القطرين العربيين الرامية الى افقار العرب وسلبهم ومطاردتهم ثم ارغامهم على ان يهلكوا جوعاً ، ومن اروع قصصه في هذا المضمار قصة « السفاح » .

وكان موباسان يؤمن بمذهب « القدرية البيولوجية » وهذا المذهب يبشر ببطلان المجهود البشري وبخذلان الانسان في جميع مساعيه يقول في قصته « تحت الشمس » .

« . . ومهما كانت الاعمال التي نقوم بها فنهايتنا الى الموت ، ومهما كانت فكرتنا وعقيدتنا ، او مهما كان الامر الذي نسعى اليه . فالنتيجة اننا الى الهلاك صائرون . وقال ايضاً : « اننا نتنفس وننام ونأكل ونشرب ونعمل ونحلم وكل ذلك يعني الموت ! . . فالحياة هي الموت ! ! » .

ويتحدث في قصصه مطولاً عن حظوظ الانسان العاثرة في هذه الحياة الزمنية واندثار الشباب والوقوع بين براثن المرض والهموم والانحلال . . والتأسف على ايام الشباب والسعادة التي افلتت من اليد . والغرق في لجج من التفكير ! . والتفكير في اننا لم نربح شيئاً في هذه الحياة . ولم تتح لنا الفرص لنمتع النفس بملاذها .

وهو يرى ان الماضي لن يعود وعندما يحاول الناس اعادته يبدو هزلياً هزيلاً . الماضي لن يعود والجنس البشري ثابت لا يتبدل وهذا الرأي كان مبعث فرح خفي له . ولكنه فرح رجل متشائم .

ولم يكن موباسان مجرد متشائم مع ان اسباب هذا التشاؤم كانت قوية لديه فقد ظل قلبه ينبض ويتألم ويحب ويؤمن .

فمثله العليا كانت متصلة بالقرن الثامن عشر . عصر الثقافة والمعرفة والاخلاق السامية والانسانية الشاملة . ويوضح موقفه هذا في رواية « الحياة » حيث جعل ابطالها على جانب كبير من الانسانية .

ويرى موباسان ان الحب هو اسمى مثل يرمي اليه الانسان . ويندر ان يرى المرء في الآداب العالمية فنانين يصورون سعادة الحب الجسدية والروحية مثلما صورها موباسان في قصصه .

والحب عنده ليس ازلياً وانما هو يهز الى لحظة ثم يختفي تاركاً في النفس فراغاً مضنياً وحيرة مكدرة وذكريات أليمة . والحب عنده يختفي ايضاً لان الناس لا يعرفون كيف يحبون ، فهم كثيراً ما يمرون بهيكل الحب العظيم دون ان يقع نظرهم عليه لانهم يأبون ان يقدموا التضحيات التي يتطلبها الحب فهم انانيون صغار النفوس . واذا ما احبوا انتهى حبهم بخيانات وفضائح . فالحب الحقيقي العظيم تعترض سبيله دائماً آداب المجتمع وتشدد عليه الخناق ولن يتمكن من الازدهار الا اذا كان بعيداً عن المجتمع وسط الطبيعة الخلابة وفي قفار الامصار النائية .

وحتى اذا ما بلغ الانسان اعلى مرحلة من مراحل الحب يظل عاجزاً عن بلوغ السعادة الكاملة . فالمحب يبقى ابداً غير مدرك نفس حبيبته وفكرها ويستحيل على النفوس ان تندمج اندماجاً كلياً وكل مجهود في هذا الاتجاه عديم الجدوى .

ويرى موباسان استحالة الوصول الى الحقيقة المطلقة ويؤمن بان هناك اموراً يعجز العقل البشري عن ادراكها وان الناس مقضي عليهم بالتفرقة المستمرة والعزلة الدائمة .

وقد لمس موباسان متناقضات الحياة لمس اليد وكشف الستار عن دفائنها وخفاياها فبدت وكأنها عدو لدود للانسان وهي تحمل في طياتها القسوة والشقاء والاخفاق والجريمة ، اما السعادة فهي حالة تمر بالانسان كلمح البصر .

وما يبقى من الحياة فهو ما يكون ذكريات موجعة عن السعادة او عن دفع ثمن باهظ لها . او محاولات قاسية في استعادة السعادة الزائلة . ولما كانت السعادة لمحة عابرة او عسيرة المنال فمصير الانسان الى الالم الدائم .

ان موباسان منشد الحب هو فنان الآلام الانسانية والسعداء عنده قليلون اما المتألمون فلا حصر لهم وهم يعانون آلاماً منوعة فمنهم من يشكو الآلام الجسدية . ومنهم — وهم اكثر من غيرهم ألماً وعذاباً — من يشكو الآلام المعنوية كالانانية والخشونة والاستغلال .

يـراعات صغيرة

✡

أي صوت يتلوى فيّ
يا اماه . . .
اي جدول سروب
يخترق مجدي
اي غمق يتراكم على جسدي
امسحيه عني يا اماه
غرق أنا . . .
أترتجفين مني
. . . افتحي السدود
جسدي يتمطى
صخوراً . . .
واد عميق يا اماه . . .
اين انت . . . بربك اين تسكنين ؟
. . . وهناك على ضفاف الصخور
اسمعي اناشيدي الشجية
اسمعي قصصي يا اماه
قصصي المبتلة العاصية
وقولي للوجود :
كن قيثاري
كنت اوتاري
ايام كنت هيكلا
واليوم . . . انا صخور صماء
يا اماه . . .
قولي . . . قولي لليراعات الصغيرة :
خسئت . . .
مجدي هناك
بعيد . . بعيد . . .
مجدي انعتاق العلى . . .
اسمعيني يا اماه
شبحك غروب . .
انتى اللقاء . .

« ثريا »

وكلما كانت اعصاب الانسان رقيقة تعرض للعذاب الشديد والموت المحتوم .

فاذا كانت آراء موباسان مبنية على بطلان كل مـا تبذله الانسانية من مجهود واستحالة معرفة الحقيقة المطلقة وتحكم سلطان الالم في رقاب الناس وسيادة اللؤم والاستغلال في الحياة فليس من المستغرب والحالة هذه ان يقع الكاتب الفرنسي الكبير في ظلمة روحية حالكة وان يتمسك بالفلسفة التشاؤمية ويجعلها دستوراً له في تآليفه . زد على ذلك ان مرضه العضال الموروث قد اضناه وكانت تصيبه من جرائه نوبات عقلية توحي له بالانتحار وتحبب الموت الى نفسه .

ولم يستطيع ان يحتمل كل هذا فاشترى يختاً اسماه : «الصديق الطيب » واجر به الى الجنوب، الى البيوت البيضاء والشمس الزاهرة عبر البحر الابيض المتوسط . وعاودته اقاصيص الفلاحين والملاحين التي سمعها قديماً على شاطىء النورماندي . عندما كانت الحياة اخف وطأة !! وهدأت اعصابه قليلا واتخذ من اليخت صديقاً طيباً حقاً فكان لا يبارحه الا قليلا .

غير ان ريح الشمال هبت ذات مساء بأنباء عاصفة . فقد جن شقيقه : « هرفيه » وبعد ان حمل الى المستشفى صرخ كما كان يفعل وهو طفل وقال : يا « غي » تعال نلعب في الحديقة وعندما لم يجبه احد ضحك قليلا ثم مات !.

الجنون والموت

ونظر المتشائم اليائس الى نفسه . . وسار ؟ ؟
هو ايضاً يسير في نفس الطريق ! . .

وجاء عامه الجديد وقد اصبح حفنة من حطام . وازداد تشاؤمه من هذه الحياة . فلم يفهم لماذا يعيش هذا العام ايضاً ؟؟ فسار بهدوء الى المرآة واخذ يتأمل وجهه وعينيه — كما كان يفعل قديماً — وفي هـذه المرة تأمل في رقبته ايضاً ! . . ومد يده المرتعشة الى موسى الحلاقة واخذ يعملها في رقبته ودخل الخادم .

فوجد الدم يسيل بغزارة فاختطف الموسى . وسارع الاطباء وحملوه الى اليخت لعل رؤية يخته « الصديق الطيب » ومشهد البحر الحبيب القديم يحملان اليه شيئاً من السكينة . . ولكنه نظر الى البحر واليخت . . ولم يقل شيئاً .

ثم حول نظره الى المجهول وقد انطفأت عيناه تماماً !!.

وحاول ان يتكلم . . فتمتم كطفل يتكلم كلماته الاولى .

وهزه الاطباء فلم يتحرك .

دمشق خالد العثماني

من اغاني دون كيشوت في المحبة

●

آه . . لم ارصف طريقاً . ٠ آه . . لم أعلِ بنايهْ . .
انا لم اعرف بدايات ، ولم اهدف لغـايه . .
كان عندي ، ملء جهدي ، في دمي ، نبض نهايه . .
فتكشفت ، وكاشفت ، فأتممت الروايـه .

***

ثم راقصت الهواء الرخو ، وحـدي ، في الهواءْ
وتمرغت على المـاء ، وعـانقت العماء
ثم ادركت الذي كان ، فعاتبت القضـاء . .
كيف لم ارصف طريقاً . . كيف لم أُعلِ بناء ؟!

***

كان عندي ، مثل كل الناس ، اسمٌ وحياه
كان عمري واضحـاً ، واسمي معمىً لا تراه !
كان لي ماض ، وآت ، وسبيل ، وصلاه . .
مثل كل الناس امضي — جاهداً -- نحو إلٰه .

***

ثم اني — مثل كل النـاس — احببت فتاهْ
عمرها ليس كعمري ، واسمهـا كنت اراه !
مثل كل النـاس احببت . . فأبصرت الالٰه !

لا تقل : « احببتها كيف ؟ » فلن تجديك آه . .

***

غير اني — مثل كل الناس — لي سر حيـاه
حـابساً نفسي عـلى اقـداسه دون سواه
فتراني — في سبيلي — سـائراً طـوع هداه
هكذا استشعرت عمري ، وتكشفت مداه . .

***

ثم اقبلت ، فلـم اجفـل ، ولم اشدد زنارْ
وترجلت ، فلـم اركب كفرسان النهـار
كان عندي ، ملء جهدي ، في دمي ، قبضة نار
فتكشفت ، وكاشفت ، فأحرقت الستـار . .

***

لم يكن ثَم بخورٌ . . لا . . ولا ثَم صلاهْ . .
لا نواقيس تدوّي . . لا . . ولا تجثو جباه . .
كان حفلاً عاطلاً من كل تهويل الحيـاه . .
فتحسـست بكفي ، . . واطبقت الشفـاه .

***

ثم رحنا ، ننقذ اللحظة من اسر الفضولْ . . .
فتخلصت ، وخـالصت ، وجزت المستحيل

وسمعت الغابة الخرساء، ترغي بالطبول .
ورأيت الافق يمتد، ويعلو، ويزول .

***

هكذا قال حكيم .. «كل شيء لا يدوم» .
غير اني لست ادري اي معنى لحكيم !
كل ما ادريه .. اني قد تقضاني الوجوم ...
عندما ادركت اني ليس «لي» شيء يدوم !!

***

أترى اذكر ما قالته نفسي في المساء ..
عند ما ابصرت اقدامي فرادى في العراء ..
والرياح السود تجتاح طواحين الهواء ..
أترى اذكر قولي : «كنت فقاعة ماء» !!

***

انا لا احفل الماضي ..، ولكني .. اقول لي !
من ترى يحرم لفظي ان يغشيه الذهول ؟!
هكذا قلت ..، واحسست ..، وقد مات الاصيل،
وغدا بيني – وبين الله – سد المستحيل .

***

آه .. لم ارصف طريقاً ... آه . لم أعل بنايه
انا لم اعرف بدايات، ولم اهدف لغايه
كان عندي، ملء جهدي، في دمي، نبض نهايه
فتكشفت، وكاشفت، فاتممت الروايه

***

جسمها كان طريقاً .. غير اني ما مشيته
وهواها كان بيتاً غير اني ما بنيته
وشقائي كان مراً – آه . مراً . – ما احتملته
وإلهي – يا الهي – ضاع مني وبكيته

***

ثم راقصت الهواء الرخو، وحدي، في العراء
وتمرغت على الماء، وعانقت العماء
ثم ادركت الذي كان، فعانقت الفضاء .
كيف لم ارصف طريقاً ؟ كيف لم أعل بناء ؟! .

***

كان عندي، ملء جهدي، في دمي، نبض انتهاء
فتكشفت، وكاشفت، فحققت الاداء ! ..
كل فقاعة ماء، شاركتني في الفضاء !!
آه .. لم ارصف طريقاً .. آه لم اعل بناء .

***

غير اني – مثل كل الناس – لي حد انتظار .
كان عندي، ملء جهدي، في دمي، قبضة نار .
فتكشفت، وكاشفت، فأحرقت الستار .
آه .. لم ارصف طريقاً .. آه .. لم اعل جدار

***

انا لم اعرف بدايات، ولم اهدف لغايه ..
كان عندي، ملء جهدي، في دمي نبض نهايه ..
فتكشفت، وكاشفت، فأتممت الروايه ..
كيف لم ارصف طريقاً، كيف لم أعل بنايه ؟ ؟!

القاهرة — محمود امين العالم

الاقصوصة المصرية

للاستاذ ديفز ترجمة : حسين نصار ليسانسيه في الآداب

☆

تستغرق حياة الاقصوصة في اوربا قرناً من الزمان ، ولكن وراء هذا القرن توجد قرون عديدة استغرقتها كتابة الروايات . اما الاقصوصة العربية فليس لديها هذا التراث . اذ لم يوجد بالادب العربي المثمر في كل فروع العلم والادب الممكنة مكان للروايات . ولا يوجد في تراث الاقصوصة العربية الحديثة ادجار ألان بو ، او جوجل ، او موباسان ، كما انها ليس لها تراث من كتابة الروايات . ولا يكاد المرء الذي يرى هذه الملكة القصصية البارزة في التحفة الرائعة « الف ليلة وليلة » يصدق هذا الامر . ولكن العرب كانوا ولا يزالون يعتبرون هذه المجموعة الرائعة من القصص ، التي لم يحسوا بعظمتها ولم يتأثروا بوجودها ، قليلة القيمة الادبية . فبقيت موصود عليها غير بعيدة عن نظرة الاحتقار ، بين دواوين الادب الثمينة وموسوعات التاريخ وعلم الكلام والفلسفة والطب وما شابهها . ولا بد انهم صعقوا من ترجمة جلاند لها في اوائل القرن الثامن عشر ، وترجمة الادباء الآخرين لها الى جميع اللغات الاوربية فيما بعد ، وسرعة صيرورتها تراثاً للادب العالمي .

فالاقصوصة اذن آتية من الخارج مثلها في ذلك مثل الرواية . وغرست عرضاً كأنها زهرة غريبة رقيقة نبتت في ارض غريبة فتأصلت فيها بعض الشيء ، وتقدمت تقدماً كافياً لتطمئن على حياتها ، ولكني اظن ان معظم الكتاب المصريين المحدثين متنبهون الى قرب جذورها من سطح التربة قرباً شديداً .

وقد تأثر رواد الاقصوصة الاولون بالترجمات الكثيرة من الآداب الاوربية ، ولا سيما الادب الفرنسي . وكان من الطبيعي ان يشتد تذوق المصري الحديث — الذي تلقى قسطاً من الثقافة الاوربية وعاش في مجتمع يتحول الى التقاليد الغربية شيئاً فشيئاً — للرواية الغربية تدريجياً ، وان يضعف ميله لانواع القراءة الثقيلة في لغته الخاصة . ولم يجد هذا الذوق الجديد رضاه الا في اللغات الاجنبية او الترجمات وسرعان ما تبينوا حاجتهم لاقاصيص وروايات ومسرحيات محلية . فنهج الكتاب المصريون ، العارفون الشوط الكبير الذي يسبق به الادب الاوربي الادب العربي في ميدان الرواية ، النهج الواضح ليسدوا هذه الحاجة ، واستعاروا فنهم من الغرب ، وخاصة من الكتاب الفرنسيين والروس الذين كانوا دائماً محط الاعجاب في هذه البلاد . وهكذا شرعوا ، وهم مسلحون بفن غير ناضج ، يكتبون قصصاً ليس فيها ابتكار في الشخصيات او الموضوعات الا قليلاً ، ولكنها كانت مصرية الشخصيات ، مصرية المناظر . واذا كانت آثار هؤلاء الكتاب الاولين غير جيدة فاننا يجب ان نتذكر انهم كانوا يشتغلون بنوع من الكتابة جديد على الادب العربي ، ولم تكن العربية نالت من التحوير ما يجعلها تلائمه . ومهما بلغ ضعف هذه القصص الاولى ، فانها كانت خطوة مباركة قائمة على اسس من مقالات ذلك العصر القصصية المألوفة التي نشرها بين الناس قلم المنفلوطي المشبوب العاطفة ، والتي أظن انها كانت ذات نتائج ضارة على ميل المصريين الى ما كانوا يعتقدون بانه روايات ويشعرون نحوه بكل حب . .

وكان على الرواية العربية ان تتغلب على قدر من الاهواء قبل ان تحوز القبول العام . اذ يوجد من ناحية العنصر المحافظ الذي لا يثق في هذه الصورة الجديد النامية من الادب ، ومن ناحية اخرى توجد الطبقات المثقفة ، اعني هؤلاء الذين تعلموا في الخارج واطلعوا على الروايات الاجنبية ، والذين انقادوا الى اعتبار محاولات مواطنيهم الاولى في هذا الميدان الجديد غير جديرة بأكثر من التسلية الرقيقة وصعب على الجمهور العام الذي يتماسكه تراث ادبي طويل ان يلائم بين نفسه والصور الجديدة . اذ يصعب عليهم ان يعتبروا حوادث الحياة اليومية التافهة ، وخاصة حياة الطبقات الفقيرة ، مادة للادب الحق . ولكنهم استطاعوا بالتدريج ان يتبينوا ان هذه الحياة نفسها — الحياة العادية للمصري العادي — هي الجديرة بعناية الكاتب الحديث في هذه البلاد ، وذلك عندما اعترفوا بأحد هؤلاء الكتاب او اثنين منهم .

ولم تكن التأثيرات الاجنبية غاية في الحسن على الدوام . اذ مـا يزال حبهم القديم للرومانتيكيين ، ولفيض الادب الفرنسي العاطفي خلال الاعوام الاولى من هذا القرن وتأثير بعض الكتاب المحليين الخفي الضرر مثل المنفلوطي ، ما يزال هذا الحب يؤتي أكله في القصص الغرامية العذبة التي تعتبر من خصائص المجلات المنتشرة ، ومن خصائص الخيـال الشبيه بالفلسفي الذي يتعلق به كثير من الكتاب . ويستطيع المرء ان يفترض انهم محبوبون ايضاً من قرائهم .

ويتكلم الكتاب المصريون المحدثون كثيراً عن « عالمية » الموضوع ولذلك غالباً لا يرضون بالنظر الى المادة العجيبة التي في متناول ايديهم وينتجون بدلاً منها قصصاً عـالمية بمعنى انهم لا يجدون الا القليل ليقصوه عليهم من التوافه الروائية التي تملأ المجلات المنتشرة في جميع انحاء المعمورة . ومع ذلك يوجد من الاسباب مـا يحملنا على التفاؤل ، اذ لم يوجد قبل مثل هذا العدد الكبير من قراء الاقاصيص ولا مثل هذا العدد المعظم من كتابها . وقد نشر في الايام الاخيرة ايضاً قدر كبير من ترجمات الروايات الاوربية الحديثة ، وتـدل طبيعة الآثار التي اختاروها على انهم يريدون خدمة الادب العربي اكثر مما يريدون ارضاء الذوق العام فحسب . وهذه مناهج الفن القديمة تتخلى عن مكانها للمناهج الحديثة ، ويشرع يقل عدد الكتاب الذين يقولون « طاب صديـقي قهوة مرة اخرى ، ثم استعد ليروي القصة التالية . » ، ذلك الفن الذي كان شائعاً في اوربا في بداية هذا القرن . واخذت تظهر في مصر مجموعة صغيرة من الآثار التي سيكون لها ذاتيتها الخاصة الواضحة ، بمسيرها على تقاليد الاقصوصة الاوربية . وبمصر الآن قليل من كتاب الروايات الذين لا يرضون باسترقاق سادة الغرب لهم ، ويكتبون عن وطنهم الخاص بطريقة لا يستطيع ان يسير بها احد غيرهم . ومنذ امد طويل جداً ومصر تمد الكتاب الاجانب بتراث من المواد المحوطة بالمشاعر والعواطف ، ومنذ امد طويل جداً تمثل مصر في صور العشاق يسبحون في ضوء القمر بجوار الاهرام ، وحلقات الرقص في ميناهاوس والكونتننتال والخادم الامين ذو الجلباب الابيض يدلج مسترقاً الخطى بالويسكي والصودا . وهذا هو ما يغري بجمهور الاقصوصة المحلي ، او ترجمته ، ولكن هناك عدداً متزايداً من الكتاب الناشئين الذين يفهمون انه يجب التضحية بكل شيء في سبيل الادب وان الانسان لا يستطيع ان يتمادى في خطئه ، فنياً ، لانه لا يتعلق الا بما يعرف ويحس بانه ذو اهمية له . وهذه هي العـاطفية ، التي كانت فترة طويلة داء الكتابة العربية في العصور الحديثة ، تحتضر ببطء على فراش الموت ، وطفقت الواقعية تحل محل النظارة الرومانتيكية شيئاً فشيـئاً ، ويستطيع الكاتب الحديث ، الذي لم يعد واضح التنبه الى الاصول الاوربية للصورة التي يكتب فيها ، ان يلائم برضاه بين نفسه وبين الحياة والوطن اللذين لا بد ان يستقي قصصه منهما . ويمكن ان يقال هذا عن قلة قليلة من هؤلاء الذين يكتبون القصص اليوم في مصر (ولا توجد هذه القلة بين المشهورين والناجحين وحدهم) ، ولكن وجود هذه القلة يبين ان الاقصوصة العربية قد تنتج آثاراً يمكن اعتبارها « عالمية » لجودتها .

وجملة القول ان هذا هو تراث القصة المصرية . ولكن يجب ان انهي هذا الحديث الى احدى النقط . وهي مشكلة اللغة التي تواجه الكتاب العرب اليوم . فالكاتب الانجليزي لا يتردد قط بين لغتين ايهما يجب ان يستعمل ، قد يعنى بتطوير اسلوب شخصي ، ولكن هذه مسألة مختلفة . اما الكاتب العربي فليس في هـذا الوضع السعيد ، اذ يجب عليه ان يكتب بلغة يحتقرها عامة المثقفين وغير قادرة على التعبير عن كثير من الافكار — تلك هي العامية — او يجب ان يستخدم اللغة الفصحى فيكتب بلغة لا يتكلم بهـا احد فلا يستطيع ان يتمتع بتداعي المعاني الضروري لكل كاتب حساس . ويبدو ان الحل الواضح ان يكتب القصة باللغة الفصحى ، والحوار بأنواع مختلفة من العامية تتفاوت تبعاً للمركز الاجتماعي المنتزعة منه الشخصيات . وهذا ما حدث فعلًا لدى عدد من كتاب الاقاصيص ، وان كان التحيز المتأصل ضد اللغة العامية — ذلك التحيز الذي لا يضعف — يسوق معظم الكتاب الى نوع من التوسط في حوارهم ، الذي كتبوه بصورة مبسطة من اللغـة الفصحى ، ولم يسمحوا لانفسهم الا بثورات قصيرة الى العامية حين لا يمكن تجنبها .

وغالبية القصص المكتوبة من النوع المألوف في المجلات المختلفة ، كما هو الحال في كل مكان ، كمـا يطالب الذوق العام ان تنشر الاقاصيص في جميع الصحف والمجلات الاسبوعية . ويعثر المرء بمحض الصدفة اكثر من اي شيء آخر على كاتب لا يعنيه مجرد ارضـاء الجمهور . وقد اخذ عدد هؤلاء الكتاب الجديين يتزايد ، وانهم هم الذين يستطيعون ، لو سنحت لهم الفرصة ، ان ينتجوا مجموعة من الآثار القصصية التي تستطيع ان تقف بازاء ثمرات اوربا عند المقارنة . والكتاب موجودون ، وانما يحتاجون الى نقد جدي مسئول ومجلة خاصة بالاقاصيص الادبية التي ليست من النوع المألوف في المجلات ، اكثر مما يحتاجون لشيء آخر .

القاهرة — حسين نصار



لادمندو دامينشس   ترجمها عن الايطالية: **مصطفى آل عبال** ليسانسيه في الآداب

من اسهل الكتاب الايطاليين لغة وابسطهم اسلوباً وارقهم ديباجة، هو القاص الذي اجتمع عليه في عصره اكبر عدد ممكن من القراء.
طاف بكثير من البلدان فانتفع ، وخالط الناس في جميع طبقاتهم فعرف بؤسهم ونعيمهم ، ونزل الى طبقة
العمال الكادحين فواساهم باقاصيص تفيض عاطفة وحنواً .
وقد اتسمت جل مؤلفاته بطابع الانسانية الحقة فاقبل عليه الناس جميعهم يقرأونه بشغف، وتأثر الفتيان باقاصيصه وبكوا. وفي كتابه
« الفؤاد » وهو يعد من اشهر مؤلفاته ، الهب خيال الفتيان باقاصيص تشع منها روح البطولة وباحاديث كلها عظات وعبر .
وترك لنا كتاباً آخر لا يقل عن الاول اهمية دوّن فيه ، عندما كان ضابطاً في الجيش ، اهم الحوادث عن الجنود في حلهم
وترحالهم وكيفية معاملتهم معاملة انسانية حقة وعدم التواني في مكافأتهم حين يستحقون ذلك .
اسلوبه الكتابي اسلوب الفنان الموهوب يضفي الالوان والظلال حيث الحاجة، زاخراً بالعواطف الطيبة النبيلة .
قوي الملاحظة تعج مؤلفاته بالشخصيات المتميزة الفطنة والمصادفات الغريبة .
ولد في سنة ١٨٤٦ ومات في سنة ١٩٠٨ . وفي سنة ١٨٨٦ ما كاد يطبع لاول مرة كتابه « الفؤاد » حتى اشتهر وتخطفته الايدي
وقد طبع منه حتى اليوم اكثر من مليون نسخة ونقل الى معظم اللغات واقرته وزارة المعارف الايطالية في جميع مدارسها . الى ان
جاءت الفاشستية فألغت ادخاله في المدارس وحظرت ذلك لما يتضمنه من الآراء الاشتراكية على زعم قادة الفاشست .
اما اليوم فقد اخذ الحق مجراه ورجع « الفؤاد » الى تغذية افئدة الطلاب في جميع المعاهد .

لقد حتم علي ان ارى دائماً ذاك الوجه الكالح المكفهر العبوس وتلك النظرات الشرسة . — هذا ما حدّث به نفسه احد الضباط بعد ان استعرض كتيبته .

— ولماذا وما الشر الذي اقترفته بحقه ؟ — كان يفكر بذلك الجندي الذي كان يرمقه بنظرة، كلما مر من امامه، تنم على الحقد والبغضاء .

من الطباع ما هو منكمش على ذاته . وصاحب هذه الطباع كبير النفس متغطرس احياناً انعزالي يشك في كل ابتسامة يراها على وجه عابر سبيل ، فهي معناها السخر منه . ويرى المكر بارزاً من كل كلمة يسمعها ويتخيل في كل انسان يلتقي به عدواً . وفي الحقيقة ان امثال هؤلاء البشر طيبو القلب رقيقو العاطفة . ولكن منظرهم يوحي بعكس ذلك ويأتي — غالباً — حكم الاكثرية عليهم قاسياً فالتجهم من خلقهم ، وهم يشكون في كل انسان وليس فيهم عاطفة تلقائية spontanea ولن يكونوا اول من يحب . واذا شعروا بانهم اوحوا الى غيرهم بعاطفة نراهم يردون على هذه العاطفة باحسن منها ، تصعد من اعماق قلوبهم قوية جداً . والويل اذا احسوا خلاف ذلك فقد يلوذون الى المعاندة والكراهية . ولن يكون حقدهم حقيقياً ولو اعتقدوا بذلك . وليس من العسير ان نتوصل واياهم ونبدد لهم سحب الكراهية المتلبدة على حواسهم والتي كان يلوح من المحال تبديدها . ثم نقضي على تلك البغضاء، فيهم والتي قد اقسموا على حملها الى الابد .

كانت طباع ذاك الجندي من هذا المثيل . كان ينظر شزراً مزراً الى ضابطه .



في اليوم الاول من وصوله الى كتيبته كان يصحبه كثير من الذين جاؤوا ليخدموا في الجندية الاجبارية . وكانوا يرتدون ملابس

الفلاحين والعمال . ومـا كاد ينخرط في كتيبته حتى صوب وصعد اليه الضابط مستغرباً وهمس في اذن الملازم : « انظر الى ذاك الوجه فكأنه كتب عليه : ممنوع . » ثم تبسم وليته لم يفعل، لقد رأى الجندي تلك الابتسامة . ولما أتي به الى مخزن الالبسة ليختار منه ما يلائمه ، ارتدى اول شيء وقع تحت يده . كانت البزة التي اختارها واسعة جداً وخاصة المعطف فقد تدلت اكمامه فوق يديه وسقطت كتفاه على ذراعيه وكاد ذيله يجر وراءه ويكنس الارض . لقد رآه الضابط وهو يمر امامه فضحك وقال له : — لا ثمة فرق بينك وبين كيس محشو بالخرق البالية . — فتجهم وجه الجندي وألهب الضابط بنظرة شملته من رأسه الى اخمصه فكأنها حجر قذفه به .

وحدث مرة في ساحة المدرسة الحربية بينما كان الجنود الجدد يتمرنون على السير العسكري ، كان الضباط يأمرون كل جندي على حدة ان يخرج من الصفوف ويمشي وحده لمسافة بعيدة على نغم الطبل محركاً رجليه ببطء بدون ان يثني ركبتيه . ولما جاء دور صاحبنا الجندي اعتراه الخجل والاضطراب ولم يتمكن من السير خطوتين بدون ان يتهادى ويتعثر . وقام بحركات حملت رفقاءه على الاستغراق في الضحك . وداهمه ذلك الضابط وهو على هذه الحالة الساخرة فانتهره ووبخه فلم يصلح ذلك من امره بل كانت النتيجة بالعكس . ولما رأى الضابط بانه عبثاً يحاول ردعه تركه وشأنه بعد ان قال له : انك ابشع جندي في الكتيبة ..

كان الناس متجمهرين في الساحة يشاهدون تلك التمارين وقد ضحكوا كثيراً من كلام الضابط . فاحمارّ وجه الجندي وتقلصت شفتاه ورجع الى صفه واسنانه تصطك حنقاً وكان يهمهر كالكلب المصاب بداء الكلب .

تأصل في نفسه بان الضابط يكرهه وانه يوجد الخبث فيه ويجعله اضحوكة للغير عن سابق تصميم وغايته ان يخرجه من هدوئه وصمته ويثير غضبه ويهدمه الى الحضيض . كل هذا مجرد وهم من جندينا . فالضابط كان رجلاً شريفاً وما كان يحمل البغضاء لاي انسان كان وخاصة له . كان يحب جنوده حباً جماً ، كان عاجزاً عن ان يشعر ولو قليلاً بشعور الكراهية العمياء او الظلم . وهو عدو لدود لاعمال العنف والغطرسة والاضطهاد . فالامر كله انه لم يتفهم جيداً طبيعة هذا الجندي . كان يحكم عليه — وهو يراه على حالته هذه من التجهم — باللفظ الغليظ الثائر ، فاراد ان يروضه وما كان ايسر ذلك لو استعمل معه سبل الاقتناع والتودد ، فالتهديد والحبس لا يجديان مع امثاله .

وفي احد الايام بينما كان الجندي يناجي احدى الفتيات في منعطف احدى الطرق اذ مر به الضابط . فلم يره الجندي وظن الضابط بانه تظاهر بعدم رؤيته حتى لا يؤدي له التحية فاقترب منه وانهال عليه بوابل من التقريع امام فتاته وامام بعض الناس الذين سرعان ما تجمهروا . تمنى الجندي في تلك اللحظة لو تميد به الارض فتنشق وتغيبه في اعماقها من شدة ما اعتراه من الحياء . وما كاد الضابط يذهب حتى اختفى هو ايضاً بسرعة البرق . واشتدت الكراهية التي كان يحملها في صدره لضابطه ، لقد بلغت الذروة . اصبحت بغضاء شديدة لامزيد عليها وهي لاتنفك من نهش فؤاده وافكاره، فما كانت تترك له لحظة ليستريح فيها وصممت له حياته كلها . ومهما كان يجتهد في اخفاء ذلك فلم يفلح . وكان ، كلما وبخ الضابط جندياً آخر ، يتظاهر بالسعال ويسحب قدميه على الارض فيحدث خشخشة، وما ان ينتبه الضابط الى ذلك ويلتفت حتى يسرع جندينا ويستقبل السماء بوجهه ويتيه نظره اثر النجوم . واذا وبخه الضابط لذنب ما يتظاهر بالصمم ويدير عينيه في محجريهما كما تفعل الحرباء والمجانين . او يهز برأسه بلؤم ويغمض عينيه ثم يشقهما قليلاً . كل هذا وابتسامة الخبث لا تفارق محياه وقد اعوج فمه وخرجت شفته السفلى وعلتها الثانية وهكذا . . . فان جندينا لم يزدد الا خبثاً ولآمة وتجهماً .

وفي احدى الامسيات والجنود يقومون ببعض التمارين في « ساحة السلاح » اذ وبخ القائد الاعلى الضابط بصوت عال . فاجال هذا النظر فيما حوله فما راعه الا وجندينا يضحك بصمت .

— يا لك من نذل ! صاح به وقد اعماه الغضب . ثم اقترب منه وهدده بقبضة يده . فاصفار وجه الجندي والتفت الى جاره وقال له ببرودة :

— اليوم اوغداً . . والا فلست . . (وهنا تمتم بكلمات يشتم منها التهديد والوعيد) وما كاد يدخل خيمته حتى تناول جميع اغراضه من فوق السرير وقذف بها الى الارض . ففاجأه الضابط وصاح : — ايها الشاويش خذه الى السجن . قـال هذا واختفى فجأة كما جاء . فعض الجندي طرف فرشته من شدة غيظه واوسع راسه لكماً بجماع يده . اسرع اليه بعض رفاقه وامسكوا له يديه : — ماذا تفعل . ما اصابك ، هل جننت؟ فثاب الى نفسه وقال بصوت منخفض خطر : — اجل . انني اجن . وسترون في يوم من الايام ما ستحمله اليكم شجاعة المجانين . .

في احدى المقاطعات المجاورة لمعسكر اولئك الجنود بقعة من الارض واسعة من اغرب ما وجد . فيها ممرات وعرة بين سلسلتين من الجبال والوديان تحيط بها المخابىء والمغاور . اشجار باسقة وهاويات سحيقة تدخل الى النفس قشعريرة باردة من جراء النظر الى عمقها وتكاد الشمس لا تصل الى قعرها . وقد تكاثفت على اطرافها الاعشاب البرية والعليق فباتت ظلمة من الظلال التي لا تفارقها . وما تكاد الشمس تشرق على تلك الممرات من وراء الجبال الشاهقة حتى تسرع الى المغيب وراء جبال اخرى ضاربة نحو الجوزاء . ممرات غير مستويات ، صاعدة هابطة معوجة ملتوية ، احراش كثيفة ومنعرجات عديدة . وان من الممرات ليصعد في الجبل فيستحيل تسلقه الا بالايدي والارجل معاً . وكانت بعض الاكواخ الحقيرة منتثرة هنا وهناك تزين سفوح تلك الجبال الرهيبة . وحيث نعثر ايضاً على بقع صغيرة من الارض الممهدة مخضرة بالزرع والعشب تدل على ان هم الانسان في هذه البقاع ان يستغل اقصى ما يمكن استغلاله من هذه الارض الصخرية .

كان الفصل خريفاً وكانت الارض تنهل من الطل الذي لا ينقطع . وكانت ثلة من الجنود يقومون بدورية في تلك المقاطعة الموحشة . كانوا يمشون وراء بعضهم تاركين بعض المسافة بين الواحد والآخر خيفة ان تزلق رجل احدهم فتتدحرج الحجارة من تحتها فتصيب رفيقه الذي يليه لو كان بقربه . كانوا صاعدين هابطين ينثالون كالافعى ، فتارة يختفون وراء الصخور الناتئة وطوراً يشبهون البقع السوداء المنثورة فوق احدى المرتفعات . واحياناً يختفون دفعة واحدة في تلك الادغال او يبتلعهم واد سحيق ولا تحسبهم سيخرجون منه . كان احد الجنود يتقدم الدورية على بعد خمسين خطوة وآخر في اثره على بعد المسافة ذاتها او اكثر . كانا يسيران محدودبي الظهر لا يرفعان انظارهما عن الارض واجمين يشدان على قبضة بندقيتيهما . وبغتة سمع الجندي في المقدمة ضجة مضطربة من الخطوات . ثم رأى ثلاثة رؤوس تظهر دفعة واحدة من وراء الصخور وامامها فوهات ثلاث بندقيات تلمع ، ما عتم ان خرج منها ثلاث طلقات اسرع من البرق . فلم يشعر الا وخوذته طارت من فوق رأسه . لقد اصابته احدى تلك الطلقات والثانية والثالثة مرتا عن يمين رأسه وشماله . وسرعان ما داهمه على اثر تلك ثلاثة من الاشقياء . وكانت مفاجأة لم تدم غير لحظة قصيرة جداً . ثم ثاب الى وعيه بعدما اعتراه من الذهول واطلق النار من بندقيته . فما راعه الا وصوت شقي يدوي في وعورة ذاك المكان ويسقط على الأرض جثة هامدة . وكان اسرع من الاثنين الباقين ، فهجم على احدهما وضرب له بندقيته بكعب بندقيته فأطارها له من يده ، وكانت ضربة قوية جداً اتبعها باخرى اعظم واخطر منها بحربة بندقيته ولم يخرجها الا بعد ان اخترقت بطن اللص ونفذت الى صدره . ورأى الثالث ما حل برفيقيه فانقض عليه من ورائه كالصاعقة قبل ان يتمكن الجندي من الالتفات وامسك له بيد بندقيته ورفع باليد الاخرى خنجراً واهوى به عليه . ترك الجندي بندقيته وامسك بيسراه يد الشقي المرفوعة بالخنجر واحاط بذراعه الايمن رقبته والتصق به التصاق اللحم بالعظم وعض له اذنه باسنان حداد وشد . فلم يصبر الشقي على الالم وكان فوق طاقته فأطلقها صرخة خرجت من صدره ومزقت حجب ذلك السكون الرهيب الشامل . وكان عراك بين الاثنين . عراك مخيف لم ير مثله بين الوحوش الضارية ولم يذكر له مثيل في تاريخ البشر . لقد سقطا على الارض وتدحرجا . خطوة اخرى ويغيبان في احدى تلك الهاويات ، يغيبان الى حيث لا رجعة ولن يعرف احد مقرهما . كانت الدماء تسيل من الاثنين غزيرة فتلطخ الارض . كانت الحجارة تتطاير من تحت ارجلهما ولها قعقعة وهي تتسابق الى الهاوية ثم تنقلب القعقعة الى حفيف ثم لا شيء . لقد خيم السكون مرة اخرى على الهاوية . كان حقاً عراك شديد ، لقد تماسك الخصمان باشد ما لهما من القوة ثم تفارقا بعد ان بلغ منهما النصب المنهك مبلغاً لا مزيد عليه . ولكن وباسرع من طرفة عين اعادا الكرة وهجما على بعضهما البعض والتف الجسم حول الجسم فلم يعد يرى الناظر اليهما الا جسماً واحداً له رأسان واربع اذرع واربع ارجل وكلها تتخبط كأن مساً من الجنون اصابها . لقد تلاكما وتصارعا وترافسا وتعاضا وصعدت منهما حشرجات كحشرجة الاموات ، والآهات والصراخ والشتائم كانت كالمطر المنهمر فوق رأسيهما . لقد تفجرت اعينهما واحمرت وقدح الشرر منها وجمدت في محاجرها . وقد علا الزبد شدقيهما وسالت الدماء منها وتقصات الشفاه وكانت الاسنان فرقعة وطقطقة كالتي يحدثها الهشيم وقد اتت عليه النار في يوم عاصف . لقد امحت معالم الانسان من ذينك الوجهين وتشوه كل عضو فيهما . ومع كل هذا فقد بقي الجندي ممسكاً بيد ذاك الشقي حيث الخنجر مسلط فوق رأسه . وبغتة وبعد عراك مستميت لن يستطيع البشر العاديون ان يتصوروا مثله بين انسانين ، دوت صيحة رهيبة رددت صداها تلك الاودية . ثم سمع شيء يسقط فوق الارض . وانقض الجندي على ذاك الجسم الهاوي وشد على خناقه بكلتي يديه . فتململ الشقي من تحته وشد

وفحص الارض برجليه فافلتت يده الممسكة بالخنجر وهوى به على خصمه فاصابه في ذراعه واحدث له جرحاً بليغاً وكاد يغمى عليه وقد تراخت اعضاؤه وكاد الشقي ينجو من قبضته لولا بقية من الرمق ألهبت فيه الحياة ثانية فأفاق من سكرة الموت وامسك برأس الشقي ورفعه بما بقي له من القوة وجره قليلاً ثم اهوى به على صخر اصم كان بقربه فأغمي على الشقي . حينئذ انتزع الخنجر من يده بعد الجهد وطعنه به في عنقه فاخترقها حتى الجهة الثانية . خرج سيل من الدماء يغلي ويتدفق بسرعة من خياشيمه وكانت حشرجة ضعيفة سريعة هي آخر علامات الحياة في جسم ذاك الشقي التعيس .

— نعماً نعماً لك ايها الاخ ! عشت عشت ! هتف بقية جنود الدورية وقد وصلوا الآن تماماً وهم يلهثون من التعب والاسراع في التساق . لقد احاطوا برفيقهم وامطروه وابلاً من الاسئلة . اما هو فانه لم يحر جواباً . كان جامداً في مكانه كالصنم ولولا لهاثه لقيل انه جثة منتصبة . وجه ابيض مهشم كالخرق البالية . وعينان تائهتان في الفضاء تفتشان عن لا شيء . كان يلقي نظارة على الجثث الثلاث الغارقة امامه ببركة من الدماء ، ونظارة على الخنجر الذي لا يزال في قبضة يده يشد عليه .

لقد تأخر رفاقه عن اللحاق به لانهم هم ايضاً هاجمهم بعض اللصوص الاشقياء . فتبادلوا النار برهة ثم لاذ المجرمون بالهرب . فلحق بهم الجنود مسافة . ولما لم يدركوهم رجعوا ادراجهم يفتشون عن رفيقهم فعثروا عليه وهو على تلك الحالة .

حملوه ورجعوا به . وخرج من المستشفى بعد اقامة قصيرة وقد ابل من كل جروحه ورضوضه . وما وقعت عينا الضابط عليه لاول مرة وهو يستعرض الجنود حتى نظر اليه طويلاً ثم قال له :

— نعماً لك ! عشت . .

***

وبعد مضي ثلاثة اشهر على ذلك الحادث ، نقلت الكتيبة الى بلد آخر . وما كاد يستقر المقام بالجنود اسبوعاً واحداً حتى اتاهم امر القائد الاعلى بارتداء بزات الاستعراض لانه سيقام في اليوم التالي احتفال عسكري كبير رائع في ساحة المدينة ، وفيه يقلد جندي بوسام الاستحقاق العسكري .

— او بهذه السرعة . فكر الضابط وهو يتلقى اوامر القائد واسرع الى غرفة رائد الجيش وسأله باهتمام زائد :

— هل بلغتك الاوامر ؟ هل هيأت كل شيء ؟

— كل شيء حاضر منذ ثلاثة ايام اجابه رائد الجيش .

— الآن التنفس الصعداء . هات لنا اذاً قلماً وورقاً ودواة . اريد التأكد من عملي .

جلسا وراء منضدة وبدأ رائد الجيش يرسم على ورقة طرقاً وممرات وبيوتاً واكواخاً وهو يتكلم بصوت منخفض ويكرر شرحه باسلوب اوضح فاوضح . وبعد برهة نهض الاثنان واستأذن الضابط وقال : البيت الثالث عن اليمين ، الباب الثاني . اليس كذلك ؟

— اجل البيت الثالث ، الباب الثاني .

— امتأكد انت ؟ !

— سر على بركة الله فلن تخطئ .

وبعد ساعة كان يرى الضابط ممتطياً جواده متجهاً نحو قرية « اكوسنتا » اي الماء المقدسة . وبلغها والشمس قد آذنت بالمغيب وقبل ان يلجها فك ازرار سترته حتى لا يقرأ عليها رقم كتيبته ورفع مقدمة قبعته الى فوق رأسه .

كان لوقع حوافر الحصان ضجة عكرت سكون تلك القرية الوادعة . فانفتحت ابواب البيوت الاول واطلت بعض الرؤوس منها مستطلعة . ثم فتحت بعض النوافذ ايضاً وتطلع منها اصحابها الى الدخيل على قريتهم في مثل هذه الساعة . وسمع الاولاد هذه الجلبة فاقبلوا من كل صوب يتراكضون . التفت الضابط متردداً عنة ويسرة ثم توجه نحو باب معين حيث كانت بعض النسوة اللواتي ما كدن يرونه حتى اصطففن وجلن على طول الحائط وحدجنه باعينهن .

— من لي بكأس ماء ايتها النسوة الصالحات ؟ سأل الضابط سادراً وقد اوقف حصانه عن السير . — انا . — اجابته بلهفة احداهن واسرعت وتوارت وراء احد الابواب . « هذه هي » فكر الضابط « هذه هي نفسها » . وما كاد يرتد طرفه اليه حتى رأى تلك المرأة امامه تقدم له الماء ، لقد نظر اليها طويلاً وجرع الماء متمهلاً . هي ايضاً كانت تصعد وتصوب اليه وتلوي رأسها يميناً وشمالاً وتنهض قامتها على رأسي قدميها علها ترى له رقم كتيبته ، وكانت تفرك يداً بيد وتتهادى بجسمها ولا يستقر بها الوقوف في بقعة واحدة . كانت تقاسيم وجهها وعيناها وفمها تنم عن فرح خائف حزين ورغبة قلقة . كانت لا تدري كيف تهرب عن كل ما كان يساورها . واما الضابط فلم يكن يفوته شيء من حركاتها .

— هل بينكن واحدة لها ابن مجند ؟ سأل الضابط النسوة بعدم اكتراث وهو يرد القدح .

— انا اجابته بعزم تلك المرأة ذاتها . واشارت بإبهامها الى صدرها وانتظرت قابعة في مكانها منتصبة القامة كأنها تمثال خشب السنديان .

— وفي اي كتيبة ؟ سألها .

اخبرته باسم الكتيبة ورقمها بسرعة ثم اردفت : — اين هي هذه الكتيبة الآن . هل جنابكم تعرفون ولدي . او هل رأيتموه في جهة ما ؟

— انا لا . . ولكن كيف لا تعرفين اين هو ؟

— آه . . لفظتها من اعماق قلبها وزوّت ما بين عينيها وقلبت يديها ظهراً على بطن : بقي له سنتان ولم اره وجهاً . منذ شهر فقط لم يكن بعيداً جداً عن هذه المنطقة . كان يحارب اللصوص والاشقياء . واولداه . لقد كتب لي مرة واحدة فقط ، أيكون كتب مرة اخرى ولم تصلني رسالته ؟ من يدري ! ماذا فعل بها اولئك الاسياد الموكلون بارسال المكاتيب . انهم يعرفون رسائل الفقراء مثلنا من عناوينها فيهملونها . انا لا اجهل سير الامور هناك في المعسكرات . ان اولادنا المساكين يكتبون لنا على الدوام ولا يصلنا شيء . ولكن على الضباط والقواد ان يتلافوا هذا الامر . عفوكم يا حضرة القائد . . يا حضرة الجنرال . اني لا أقصدكم بكلامي هذا . ولكن ليس من العدل ان تبقى الامهات مثلي بدون اخبار تطمئنهن على فلذات اكبادهن . عليكم يوم الاستدارة امامكم فهن يخبرنكم ما يساورني من القلق والخوف وخفقان القلب والم الفراق الممض . انه ولدي الوحيد وسندي . وقد تمر علي اوقات لا تقوى رجلاي على حمل جسمي . لا لا اسمحوا لي ان اقول لكم ليس هذا من العدل ثم غطت وجهها « بوزرتها » وبكت .

خيم السكون على اولئك النسوة ووافقن على قولها بنظراتهن الوادعة وهز الرأس . وصمت الضابط ايضاً . ثم قال فجأة :

— انظري ، انظري . ورفع قبعته وناولها اياها . ترددت ثم اخذتها وقد ظهرت علامات البله على وجهها . قلبتها بين يديها وادارت عينيها في النسوة اللواتي حولها مستطلعة مستفسرة ثم حدجت الضابط ولسان حالها يقول : لم افهم .

ضحك الضابط وقال : ألا تجدين شيئاً في هذه القبعة يخصك ؟ اعادت المرأة فحص القبعة ثم صرخت : آه . رقم الكتيبة . كتيبة ولدي . ورفعت القبعة الى فمها وقبلتها مرة وثانية بحماسة لا مزيد عليها ، وكالبرق الخاطف امطرت الضابط بوابل من الاسئلة والتوسلات وشكرت له صنيعه . وانتظر طويلاً قبل ان يتمكن من اجابتها ولو على سؤال واحد .

— غداً تشاهدين ابنك . انه ينتظرك في مدينة « اسكولي » Ascoli هجمت الام على يده وهي تريد تقبيلها . فسحبها . . . وبعد نصف ساعة كان راجعاً في حافرته . انه لم يذكر شيئاً البتة عن الوسام وهو يحدث تلك المرأة .

ما كاد يصل الى البلدة ويدخل بيته حتى نادى الجندي الخادم وبدأ يخاطبه بحديث طويل يرتكز على كل نبرة فيه . وكان الجندي يستمع اليه فاتحاً عينيه على وسعهما وفاغراً فاه .

— هل فهمت الآن ؟ . اجل سيدي لقد فهمت تماماً . — وهل تفعل كل شيء بحذافيره كما اشرت عليك . قال هذا وخرج بدون ان ينتظر جواباً . — اطمئنوا الى ذلك يا سيدي . على بركة الله .

اتبعه الجندي بنظراته . ثم ظل برهة يفكر واخيراً تناول بيد فردة « الجزمة » وباليد الاخرى الفرشاة وبدأ عمله وكان يغمغم بينه وبين نفسه : « حقاً انك لشهم يا ضابطي . وتستحق انت الوسام . سأجعل الانظار كلها غداً تحط على جزمتك ستكون اكثر لماناً من اي جزمة اخرى في الكتيبة كلها » .

وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي وبينما كان الجندي الخادم يقف على زاوية منعطف الطريق المؤدية الى الساحة العامة ، رأى العجوز الفلاحة تمشي الهوينا مرتدية احسن ما عندها من الثياب . لقد جمعت « تنورتها » الوان سيف قزح كلها . كانت تتلدد وهي تتقدم نحو الساحة وعلامات الفرح والدهشة والفضول بادية مشعة من اسارير وجهها المتغضن . واقترب منها الجندي بعد ان اطال النظر اليها وفحصها فحصاً جيداً :

— عفوك يا خالتاه .

— اهو انت الجندي الذي اعلمني عنه حضرة القائد .

— انا بالذات . — شكراً لك وله . وابني . أليس هو معك . اين هو . لماذا لم يأت وينتظرني مثلك . ألم يخبره بقدومي . ايها الشاب الطيب قل لي بربك اين هو ولدي . هلا رافقتني اليه حالاً .

— عفوك . لحظة فقط ، صبراً . انك لا تستطيعين رؤيته حالاً . علينا ان ننتظر نصف ساعة على الاقل ، يجب ان نقبع في مكاننا هذا لنشاهد استعراض الكتيبة . انها ستقف في هذه الساحة وسيقلد القائد وسام الاستحقاق العسكري احد الجنود وهو رفيقي ، عملية تستغرق بضع دقائق وسرعان ما ينتهي كل شيء .

— نصف ساعة . وأنى لي الصبر طيلة هذه المدة . وكيف العمل .

— اجل ان نصف ساعة هي عندك نصف قرن . ولكن ليس لنا في الامر حيلة . علينا بالانتظار . سأحدثك وتحدثينني وهكذا سيمضي الوقت سراعاً .

— اللهم عفوك نصف ساعة . ولكن . . . قل لي ، قل لي ، هل سيحضر الجنود كلهم الى هذه الساحة . — اجل سيحضرون كلهم الى هذه الساحة من تلك الجهة . انظري . . .

— اذاً سأراه واكلمه في الحال .

— هذا محال يا سيدتي .

— لقد بقي لي سنتان لم ار وجهه .

— اعرف ذلك ، انه محظور على اي كان مخاطبة الجندي وهو في الصف . هذا ما ينص عليه القانون العسكري . هنا القائد وحده الآمر يا سيدتي . فلا دخل للامهات . حتى ولو حضرت والدة القائد ذاتها عليها الانتظار بعيداً عن الكتيبة .

— افهم ، او احسب اني فهمت ولكن . . . في هذه اللحظة سُمع قرع الطبول والتفت الناس كلهم الى جهة الضجة ، وشعرت العجوز الفلاحة كأن صدى الطبول يتجاوب به قلبها . بقيت لحظة صامتة وجلة . ثم وبغتة همت بان تندفع صوب الكتيبة .

رويدك ! صاح بها الجندي وامسكها من ذراعها برفق واشار عليها بالسكينة والهدوء .

— لو رآك ولدك وتكلم او اتى بحركة ما لكان نصيبه الحبس ويكفي لذلك ان يغمز بعينيه .

— هذ صحيح ! تمتمت العجوز على مضض وهدأت . ورفعت وجهها الى السماء وتنهدت طويلاً . ثم عادت وحدجت الجهة التي ستطل منها الكتيبة .

لقد اقترب قرع الطبول وانشطر الناس الى جناحين . هذه هي الاعلام تخفق والموسيقى تعزف وآلاتها تخطف الابصار بلمعانها ، وهذا هو القائد ممتطياً جواده .

— واين الجنود ؟ سألت العجوز قلقة .

— بضع ثوان ثم ترينهم .

وهمت بان تندفع مرة ثانية نحو الجند . فامسكها الجندي : اناشدك الله هلّا صمت نفسك . هل تريدين ان يزجوا به في السجن اصطفت الكتيبة وتمركزت . — لقد رأيته . انظره انه هناك ! صاحت الام وهي تضرب كفاً على كف .

— كلا ليس هو . صدقيني انت واهمة لن تتبينيه من هنا انا بعيدان .

— اذاً هو ذلك الآخر واشارت بيدها الى جهة ما .

— كلا انك لن ترينه . انه في الصف الثاني .

— ما الصف الثاني ؟ — استفسرته المرأة حيرى :

— اعني وراء الآخرين . — واصبراه ، ولا حول ولا قوة الا بالله . والآن ماذا يفعلون ؟ . — اما ترينهم . لقد وقف القائد يخطب فيهم قبل ان يقلد الجندي الوسام . يقص عليهم شجاعة رفيقهم ويحضهم على ان يحذوا حذوه . ويقول لهم بانه فخر الكتيبة وقد شرفها بعمله وبسالته . الى ما هنالك من الكلام الحسن .

— انني لا اسمع حرفاً مما يقوله القائد . أو بالاحرى لا افهم .

— لا بأس عليك ، هـذا مجمل ما يقوله : ان الجندي الذي استحق الوسام هاجمه في احد الايام ثلاثة اشقياء واطلقوا عليه النار دفعة واحدة . ولكنهم اخطأوه وهو لم يخف وسرعان ما اطلق عليهم النار فقتل احدهم وهاجم الاثنين وبقر بطن احدهما بالحربة وانتزع الخنجر من يد الثالث واغمده في عنقه . ما رايك الآن بهذا العمل الخارق ؟

— رباه . رحمتك . وهل قلدوه الوسام . ما اكثر ما يكون سرور هذا الشاب الشجاع .

— لو تعرفين كم يحبه رفقاؤه ، ورؤساؤه يعاملونه معاملة الوالد لولده . الكل يحترمونه ويقدرونه وانه لجدير بكل هذ العطف اليس كذلك ، انه من احسن جنود الكتيبة . وما اقل امثاله .

— واين هو هذا الجندي ، لقد حببتني به و كدت انسى .

— بعد لحظة يطلبه القائد الى خارج الصفوف . انظري الى الجهة المعاكسة للكتيبة . انظري ما اكثر الناس على الشبابيك سيصفقون كلهم لذلك الجندي .

ولما عادت العجوز وادارت وجهها لم تر غير ظهر الجندي وقد وقف امام القائد ووجهه الى الكتيبة .

— اذاك هو الجندي ، وماذا يفعل الآن ؟

— القائد يعلق له الوسام على صدره والكتيبة كلها تقدم له التحية العسكرية .

— رباه . ان قلبي يخفق له . اكلأه اللهم بعينك الساهرة يا له من شرف رفيع . ما اشد ما يكون سروره الآن . فاهت العجوز بهذه الكلمات وهي تجمع يديها على صدرها وجمدت مكانها ، وبرقت عيناها ببريق الامل والارتياح وعلت ثغرها ابتسامة الرضا حلوة جميلة يشوبها الفرح والدهشة والحنان .

اصلح القائد جلسته على حصانه واشرأب بعنقه والتفت الى الكتيبة وصاح بصوته الجهوري : سلاحك قدّم .

احست العجوز برعشة تسري من راسها الى اخمصها واقتربت من الجندي وتعلقت باذياله كأنها خائفة .

والتفت الضباط الى الجنود ورددوا صيحة القائد بصوت واحد ارتجت له الارض رجاً . الف واربعمئة بندقية ارتفعت دفعة واحدة وقد تألقت الحراب تحت الشمس الساطعة وكادت تخطف الابصار وتركزت انظار الجنود كلهم في وجه ذاك الجندي حامل الوسام ، وحياه القائد والضباط برفع سيوفهم . وانفجر النظارة بالتصفيق وعزفت الموسيقى على الاثر .

— من يكون هذا الجندي المحظوظ ؟ سألت الام المسكينة وقد كانت دهشتها شديدة وحنانها اشد وقد سحرها ذاك المشهد وكاد يذهب بلبها — هذا هو . . هذا هو . . هذا ابنك .

— آه صرخت العجوز وبقيت هنيهة فاتحة عينيها على وسعهما . ثم مدت اصابعها المتغضنة وعبثت بشعرهـــا الاشيب وضحكت وتأوهت ثم انفجرت باكية . فالموسيقى والتصفيق وتألق البنادق كل هذا كان له صدى واي صدى في اعماق نفسها . لقد ثمل العقل والروح منها فتهادت على رجليها واحست بغشاوة تغطي لها عينيها . ثم سقطت مغمياً عليها .

ولما افاقت رأت كل شيء قد اختفى من حولهـــا ولم ترَ غير ابنها وهو يعانقها عناقاً طويلاً ، قد نبض قلبه قريباً من قلبها وكان الوسام بين القلبين يحس بضغطهما ودقاتهما .

— كيف كيف عرفت باني هنا ؟ من اخبرك بذلك ؟ وكيف اتيت في هذا اليوم على التمام وفي مثل هذه الساعة ؟ هذا اول ما فاه به الابن بعد ان تخلص بلطف من معانقة والدته .

اخبرته الام بكل ما حدث وجرى حرفاً حرفاً وكيف ان ذاك الضابط الذي حضر الى القرية اعطاها المال لتتمكن من المجيء الى هنا بالعربة وكيف وجدت جندياً مكلفاً من قبل الضابط نفسه ينتظرها في الساحة .

— واين هو هذا الجندي ؟ سألها ابنها . ونظرا فيما حولهما فلم يعثرا له على اثر .

— قل لي بربك ما غاية ذلك الضابط من جلب السعادة على قلبينا . وكيف عرف قريتنا قالت هذا ورنت الى ابنها ومالت اليه وعانقته مرة اخرى .

— واين يكون هذا الضابط يا بني . اين هو هذا الرجل النبيل اريد ان اراه . اريدان اشكره انا مدينة له بحياتي ، هلم بنا اليه .

— هلم ! اجابها ابنها على الفور وقد كان غارقاً في خضم من التفكير . امسك والدته من يدها واجتاز الشوارع والساحة وبلغا مدخل المعسكر وقد تجمهر بقربه الضبـــاط وهم ينتظرون اوامر القيادة . وقفا على بعد ثلاثين خطوة منهم وبدات العجوز تتفحصهم بعينيها المغرورقتين بالدموع . كانت تفتش بغريزتها لا بعينيها وما كانت تعرف على من تريد العثور .

— من هو ، هل رايته . دليني عليه ، قال لها ابنهـا بلهجة التلهف — رويدك . لم اجده بعد .

— فتشي . ففتشي .

— اذاك هو ، انظره ذاك المتكىء على الحائط هو نفسه . . . لالا . ما هو ما هو . آه هو ذاك الذي يشعل غليونه . مهلاً ، ما هو ، دعني استرح وساجده .

— بربك يا اماه ، عجلي لقد عيل صبري .

آه ، ذاك هو ، هذه المرة متأكدة تماماً . ذاك الذي وضع يده على كتف رفيقه .

— ماذا ؟ ماذا تقولين ؟

— اجل . اجل هو بعينيه .

— ربما تخطئين . هل انت على بينة من امره تماماً ، امــاه ، هلا فكرت قليلاً .

— ليس في الامر ذرة من الشك ، هذا هو ، هو بذاته .

صوب وصعد الجندي الى الضابط ثم ركز نظره فيه وجمد في مكانه ولم يعد يحر جواباً .

وكان قلب الام في هذه الاثناء مشغولاً بابنها لا بالضابط ، التصقت به وامسكت له الوسام بين سبابتها وابهامها وادنته من وجهها وحدقت فيه طويلاً وسألت ابنها والابتسامة العريضة تغمر محياها :

— اراهن بان اعز شيء على قلبك بعد امك هو هذا ، ورفعت الوسام الى وجهه .

— . . كلا اجابها الجندي بدون ان يلتفت اليها .

— كلا ؟ وما هو هذا الشيء الاعز لديك بعد امك ؟ سألته بابتسامة ملؤها التودد والحنو .

رفع الجندي ذراعه واشار الى الضابط بسبابته واجاب :

— ذاك الرجل .

مصطفى آل عيال

• اغراء •

مهداة الى اخي محسن مهدي

اطلي على الدرب عند الغروب وجولي بطرفك في المنحدر
تري كومة من اماني ترف شيئاً من الامل المحتضر
هنالك في ظل صفصافة كأيامه لا ترجي .. ثمر
اطلي تري شبحاً يزدري الوجود وما فيه من مبتكر
يموت على وشوشات الغدير فتبعثه هينمات السحر
يرى الارض مهزلة ولوات بها عصفة ما لها مستقر
افاعي تمص دم الوحوش وديدان تقتات دوراً أخر
وذؤبان كم فتكت خاسة وفي فمها ما يزال .. الاثر
اطلي فما شاهقات القصور باجمل من كوخنا المحتقر
ستاثرنا من رداء الشموس تسربل اكواخنا .. والحفر
ومن حولنا الورد صمح الرؤى يضمخ ارجاءنا بالعطر
ونيران تنورنا في الضروب ابتهال لمبدع هذي الصور
اطلي فديتك مـا وقفتي أجيبي أأذهب ام انتظر
والقي علي وشاح الرضى تطرزه بسمات غرر
واني سربت فمن مقلتيك شعاع ارى الدرب منه ازدهر
سأحمله مشعلاً للحياة يسير على ضوئه من .. عبر

بغداد محسن مهدي

• انا جرح •

إيه ، يا ارضي ، هاتي ألجم الليل اساتي
انا جرح ، فيك ، يا ارض ، فصيح النبرات
في دمي منسرح آلامي ، وآلام الحياة ..
وفحيح المتعب المفجوع ، في عرض الفلاة
وعلى قلبي ، من ثقل الاسى ، ليل الجناة
ويجفني رؤى الموت ، على ضوضاء ذاتي
آه من نوء الشتاء الجهم ، يذكي جراتي !
آه من صيفي ، هذا الصيف ، يدمي خطواتي !
آه من شوك الخريف المر ، اذ يفري لهاتي !
آه من هذا الربيع الاخضر ، الحلو السمات !!
انا من لفح صباه في لظى ، كالجمر عاتي !
شهده السم ، تلالا في كئوس مشرقات !
عطره ، من جثث الموتى ، كريه النفحات
اجهشت فيه ، منى الزهر ، وراء البسمات
آه من دنياك ، يا ارض ، دوت بالمنكرات !
مزجت بالرجس آلامي ، وبالعهر صلاتي !
واعارت وتر الفحشاء ، احلى نغماتي
كفنت ساعاتي الظمأى ، بشمس الفلوات
حشدت دوني الليالي واراقت صبواتي
اي دنيا ، صلصل الدمع بها ، في الظلمات
وتنزى البؤس ، مجروح المنى ، دامي الشكاة
يا لها دنيا سعت ديدانها سعي الكماة !!
لمت ، تحت سراديب الدجى ، كالنيرات !
وانبرت ترهو ، على الاصباح ، بالليل المواتي
هي ذي تخطر ، في جرحي ، فتوري تواتي
وتعاني وطأتي ، اذ تغتذي بي يقظاتي
هذه الديدان بنت الموت ، في ماض وآت

حمص — سوريا نذير الحسامي

• الحائر •

يا طريقي كلت خطاي من السير، وخارت قواي ، اين النهايه ؟
انا حيث اتجهت فيك واني كنت لم اعد في مسيري البدايه!
كلما دبت السآمة في قلبي فحاولت ان احطم غايه* ،
دفعتني بقية من رجاء فتغلغلت (في سطور الروايه) ،
وتأوهت كالجريح وتمتمت : الهي رحماك بعض العنايه .
وسمعت الاصداء تلفظ سري . تلك اصداء ثورة في دمايه
فلقيت الحياة سر نضالي ، ورايت النضال سر هواية
وبنفسي من الاسى كلمات خفقت في فمي فكانت شكايه
موسلاً في الجهات طرفي . كراع عاف اغنامه ولازم نايه
انا كالتائه الذي كلما قارب ان يهتدي اضاع الهدايه
والسراب السراب حولي ينادي : انا في القفر شاطئ اللانهايه ،
ايها الحائر الكئيب تقدم ، ليس تجديك حيرة ووقايه ،
فدع الحذر واتبعني فاني قد رايت الهدى وليد الغوايه ،
سر معي تلف ما قصدت فعندي قد تساوت حقيقة وكنايه !
ويزيد الظمأ فأخدع نفسي .. واحث الخطى الى ... غير غايه !

بغداد ابرهيم عوبديا

* الغاي : جمع الغاية .

• جنان العريف •

صه دليلي اني في ذي الجنان صراع — من حياة مع الفناء شديد
وشعور يشد شدا هصوراً — كل آن على رواء جديد
فالجواري المهفهفات سكارى — باريج من السنا في الورود
والندى دمعة الهوى والتصابي — تحتسيها غزالة من خدود
والفراشات راقصات غوان — وقع اقدامها باذن الخلود
وهدير القناة انة عان — جرجسماً يصيح حلوا قيودي
ومكان المليك بات لدوح — يفرش الظل عند موطن عنيد
وحداء النسيب ما زال يدوي — بالاماني المضمخات الرود
ليس غير النسيم طوق قداً — لغصون تميس ميس القدود
والعصافير مطربين تغنوا — بالمنى والنهى وعز وطيد
وريقات في الفروع اكف — صفقت في ارتعاشها للنشيد
فهنا الفن شعلة من نبوغ — غرستها بين « العريف »جدودي

غرناطة — نجيب ابو ملهم

• انعتاق •

ضاقت بي الارض واسودت حواشيها وطوق اليأس من نفسي امانيها

ولوح القلب للدنيا يشيعها — بدمعة الحزن تنزو من مآقيها
وحوم الامل الذاوي على جدث — دفنت فيه المنى والحب والتيها
لما رأيت الورى كالبحر مصطخباً — يلقم الموت بلداناً بمن فيها
وينشر العنف «نيرونا» يعاتبنا — في غلظة القلب في اقسى مساويها
فيقلب الشر في التاريخ صفحته — ويمعن الاثم في التمدين تشويها
ويفغر النهم شدقيه على حنق — ليبلع الارض دانيها وقاصيها
فظائع البغي، يا نيرون، مخجلة — فكف عتبك واقصر عن مخازيها
رواية الجورلن ترضاك مخرجها — وعلم عصرك لم يتقن مآسيها
ذبحت للنهمة الكبرى فما شبعت — من اكبد الناس لما كنت راعيها
حريق رومة لن يروي وقد عرفت — ثغر الملاجيء زلزالا يواريها
ورعب عسفك مأنوس، وقد ألفت — جوانب الارض اعصاراً يذريها
وروض الذعر دنيانا والبسها — ثوب الضباب فغابت في دياجيها

تعبت من رهبة الارض التي انقلبت قذيفة ساعدُ الاطماع يحشوها

فطرت عنها الى عليا مموهة — بريشة الشعر والاحلام تمويها
وجئتها في براق ضاء مقدمه — بذائب النور في اجفان آتيها
ورحت اهتف بالآمال نافرة — مني لعلي بذوب النور اهديها
فطوفت في خيالي بعد جفوتها — وابدلتني من الدنيا « علاليها »

فقمت اشهد في افيائها ملأ — مطهر الحب ضاحي الزهر حاليها
تموج الحسن في لالائه ثملاً — بخمرة الوحي في اكواب ساقيها
وكرمة الوحي، من يرشف معتقها — نبا به الرفق عن دنياه تنزيها
عصرت منها رحيقاً رحت اسكبه — على منابت احلامي فيسقيها
فيملأ الصدر من فياحها أرج — نوافح الخلد بثته زواكيها
انزه القلب ما شاءت جوانحه — وامتع العين ما اسطاع الضيافيها
وانعم النفس بالروض الذي نشدت — نعيمه السمح فيناناً يؤاسيها
شعارك النهم يا انسان، ما برحت — فيك الميول تراباً انت تنميها
منارة السلم لم تسطع ببارقة — الا وهبت رياح الحرب تطفيها
كأنما الاثم في الغبراء سائسها — يعبث في الخلق تقتيلا وتشويها
حمدتك « الله » في برء اعلله — جراح قلبي اذا ما رمت آسوها
تبارك الشعر قيثاراً وماحمة — يغلف الارض عن عيني ويخفيها

الشويفات — لبنان — نسيم نصر

• كبرياء •

سأضحك منك ومن مدمعي — ومن امسيات جننت معي
سأضحك منك وان تفزعي — فاست تعين ، كما لم أع
نشيش الهنا على ليلنا — وعطرك يعبق من مضجعي
سأضحك والموت في اضلعي — يهز بقهقهتي مخدعي
ستستشفعين ولن تنفعي — اموت . . وان تشهدي مصرعي
ومن حولنا لباناتنا — تموت على السفر المزمع
اموت . . ولن تنقضي صواتي — اموت ، ولا تنتهي قصتي
الخلد . . . لن تنطوي صفحتي — وفيها سطورك من شقوتي
وفيها الضنى وهمس المنى — واحلامنا بالهوى الانصع
سأمضي وتفنى الليالي التي — تعفر في ذلها جبهتي
سأمضي وان تعرفي مهجتي — وفي جهلك المنتشي لذتي
وغنوتنا ستسري بنا — على الدهر مجنونة المطلع
سأقضي ولن تدركي قوتي — ولن تفهمي، العمر، ماسطوتي
وان العمالق من صنعتي — وان خلودك من ضمتي
وان الدنى صدى حبنا — وانفاسنا في الدجى الاروع
ستمضين انت ولن ترجعي — وامضي ولا شيء في مرتعي
سوى همسة الشاعر الموجع — يرددها في لظى المترع
ستعرفنا عوالمنا فيا ويلنا — ستضحك منك ومن مدمعي

بغداد — حسام الدين ناصي



ديوان النوافل

لجورج صيدح – ٢٠٦ صفحة – المطبعة السورية اللبنانية بونس ايرس – الارجنتين

.. وهذا شاعر جديد، يعيش في العالم الجديد، درج في هذه الربوع، ربوع لبنان وسورية العابقة بالشعر والشاعرية، وهاجر الى اميركا الجنوبية مع من هاجر، وهناك اعاد سيرة فوزي المعلوف ونسيب عريضة ورشيد ايوب وغيرهم من شعراء المهجر الذين احيوا « موات » الروح والفكر واضفوا على الادب العربي من عبقرياتهم الواناً طريفة عبقرية . وكان منه ان اخرج لنا ديوانه « النوافل » وليس له من غاية في اخراجه غير «مناصرة لجان الدفاع عن فلسطين» كما يعلن في اول صفحة، اذ وضعه تحت تصرف اللجان خدمة لفلسطين وقضيتها .

سيذهب حدسك، بلا ريب، الى انني سأحدثك عن شاعر قومي ملك عليه حسه الوطني اقطار فكره، فاذا علمت انه اهدى ديوانه الى الشهيد العربي « جرجي موسى حداد » الذي انتزعته مشنقة جمال السفاح من حياتنا في زهرة صباه ، قوي بك ذلك الحدس ، وأوشكت ان تطمئن الى صحة افتراضك .

ولكن الامر من الدقة بحيث لا يمكن البت به على هذا النحو من السرعة والسهولة، فليس جورج صيدح شاعر القومية العربية على طراز القوميين المتعصبين من الشعراء، اعني طراز « الفرد تنيسون » الذي اوشك ان ينكر احراق الانكليز جان دارك تعصباً لقومه واشادة بأمجادهم ودفاعاً عن نقائصهم، ولا هو من طراز « الشاعر القروي » الذي يحارب الذل في قومه ويهيب بهم دائماً الى التمرد على الاجنبي ، ويدعوهم الى الثورة في وجهه ، ولا هو ايضاً من طراز « ابراهيم طوقان » الذي عاش قضية فلسطين بشعره كما تمثلها في حياته . ومع ذلك ، فهو شاعر الوطنية .

والطريف الظريف عند صيدح هو « تاريخ » وطنيته ومولد شاعريته ، فهو قبل اي اعتبار « انسان » تتحرك انسانيته في حياته الشخصية تحركاً شعرياً خالصاً، وتطبع سلوكه الشخصي بهذا الطابع الانساني البسيط الهادىء !

لا ازال غامضاً فيما اقصد الى تبيانه .

ولكن تأمل الموضوعات التي ينظم بها قصائده ، والحالات التي يصفها في اشعاره ، والاجواء الواقعية المحسوسة التي تكون اكثر ما تكون مدار حديث عادي اكثر مما هي موضوع شعري يتضح لك القصد مما اقول ، فهو يتنقل في الحياة تنقلاً شعرياً ويتناولها لا على انها شيء « عادي » ، وانما هي « آفاق » جميلة تحرك الهامه وتهزه الى النظم واعمال الفكر . فاذا شرب الخمرة في جنائن دمشق نظم قصيدة ، واذا صعد الى قمة جبل نظم مقطوعة قصيرة ، واذا قرأ كتاباً واعجبه كتب عليه قصيدة مديح ، واذا ذهب في نزهة مع فتاة وصف لنا الواقعة ، واقعة الحال بمجموعة قصائد ، واذا اجتمع بصديق ارسل اليه قصيدة ، واذا اكل او شرب او نام او قام او سافر او ركب طائرة او اخذ رسماً او تحدث الى جارة نظم بهذه الاشياء – وهي عنده آفاق شعرية – قصيدة اولى وثانية وثالثة .. بقدر المناسبات والحالات ، وطاقته على النظم ، فشعره « يوميات » يتحدث بها عن نفسه ، ولكنه يلتقط من نفسه ومن فيوض التفاصيل والحوادث اليومية ، ما هو جدير بالتسجيل الشعري ، اعني العواطف والاحلام والذكريات والاماني والخيالات .. فهو في شعره كائن حي يصور لك هذه الكينونة الحية ، ويطير بها احياناً من الواقع الى الفضاء الرحب النير الذي تلتقي به الشاعريات الكبرى الاصيلة مثل قصيدته : « العاصفة في غابة بولونيا» و«شلال نياغرا» و«وطني» .

هذه الحيوية في الكينونة ، في كونه انساناً هي التي جعلته « شاعراً » ، او هي التي دفعت به – بتعبير اصح – الى نظم الشعر . هذا هو مولد شاعريته .

وهناك حادثة كبرى في حياته، هي هجرته من لبنان وسورية الى اميركا . قلت انها « كبرى » استناداً الى اثرها الكبير في نفسه ، وقد رأيناه اذا اكل « الكبة » ينظم قصيدة ، فكيف به وقد انتقل من عالم الى عالم ، ومن سماء الى سماء ، ومن حياة الى حياة ؟ !

هاجر اذن واغترب عن اهله ، ومن كان في طبيعته ، يحس بـ « الحنين » اضعاف اضعاف ما يحس به غيره ، لان الحنين ظاهرة انسانية بسيطة يدركها ويشعر بها كل انسان ، ولكنها ستأخذ هنا لوناً لا نعهده فيها من قبل :

هذا انسان اخذ يشعر بالغربة، واخذت ذكرياته عن اهله ووطنه تتردد في ذهنه يوماً عن يوم، واخذت الحياة كلها تصطبغ عنده بالحنين الشاق الشامل، واذا به يتحول من انسان عادي يعيش حياة عادية، الى «شاعر وطني» ينتظم حبه كل ما في الوطن وكل من في الوطن، وينتقل من العواطف الشخصية البحتة الى الدعوة الى الوحدة الوطنية والسعي العملي على التوفيق بين ابناء الامة الواحدة ورفع مستواهم والتضحية في سبيلهم (اقرأ القصائد التالية: العام الجديد، الهر في بلدة النمر، دمشق الشهيدة).

هذا هو تاريخ وطنيته، ومن هنا تجد ان هذا الرجل مر بتجارب شعرية، يندر ان يمر بها الشعراء، بل هو اصبح شاعراً نتيجة تلك التجارب.

ومذ كان الامر كذلك، جاء بيانه في الدرجة الثانية والثالثة، فالقضية عنده ليست ان ينمق العبارة، ولا ان يزخرف الاشارة، ولا ان يبدع في التورية والكناية، وانما همه، كل همه، ان «يتوصل» الى اداء ما في نفسه، وقليلاً ما يصل الى بغيته براحة وقوة. ثم ان موضوعاته التي لم يتطرق اليها الشعر العربي بعد الا في العصر الاخير (الصافي، الهراوي) تحد هي بنفسها من روعة البيان، فلا تسمح له، بمجرد تناولها شعراً، ان يكون مشرقاً جزلاً رائعاً.

غير اني ارجو الادباء والشعراء، على الاخص، ان يولوا هذا الديوان عنايتهم، فانهم يجدون فيه من «الاجواء» و«التجارب الشعرية» ما لا عهد لاكثرهم به.

عبد اللطيف شرارة

سر الحب Le Mystère de l'Amour

للشاعر شارل القرم – ٢٧٢ صفحة – منشورات المجلة الفينيقية – بيروت

يا صديقي، كان عليّ ان اكتب اليك يوم وصلتني الرائعة الطريفة «سر الحب» فاشكر كما يشكر المفاخرون بان شارل قرم فكر فيهم وقدر عندهم موهبة يوم اهداهم كتابه؟

لقد فضلت الغاية من الاهداء فقرأت. وها انا اشكر لك في وقت واحد مرتين:

اشكر كما يشكر المفاخرون وقد دغدغ تقديرك وكرمك خيلاءهم، واشكر كمن فهموا، مغتبطاً بانك قد اغنيت تراثنا الفكري برائعة قل نظيرها في الروائع.

يجب ان يحب المرء كما تعرف ان تحب انت ليستطيع ان يكتب في الحب كما كتبت وان يدافع عن سقطات الحبين كما دافعت فيعذر ثم يندفع متغنياً بشقائهم وغبطتهم ونقاوة قلوبهم، انك انت ايضاً لست، لشدة اشفاقك على لبنان وعلى الانسان، الا صليباً من لحم حي ودم حار مرّ عليه المخلص.

يجب ان يحب المرء كما تحب انت ليبلغ ما بلغ بك التصور من ابداع.

يجب ان يحب كما تعرف ان تحب والا فكيف تولد المجدلية ساعة اجتماع كوكبي الليل والنهار، وكيف تولد في ظل لبنان، وكيف تستقر الشمس في قلبها، وكيف يمحى اثمها اويكاد، قبل ان ترشف شفتاها من مياه الينبوع العذب، لانه خطيئة طفل بالنسبة الى خطايا القياصرة العظام.. ولانه ارث الدم والطبيعة والبيئة وتفكير الزمن.

يجب ان يحب المرء كما تعرف ان تحب انت وتشقى ليدرك شقاء الزوجة لا تجد لها زوجاً والأم لا تلد ولداً، وألم النفس وقد انتصر عليها مجد الجسد وزهوه..

المجدلية كما فهمتها انت خاطئة بقوة الاقدار عذراء بفعل المحبة. في الساعات التي قضيتها في مطالعة الكتاب خيل اليّ ان ابن الانسان ما ولد الا ليخلص المجدلية وان الانجيل ما كتب الا ليؤرخ مراحل تلك الاعجوبة، وخيل الي ان المخلص لم يتكلم الا ليسمع المجدلية صوته، ولم يحول الماء خمراً ولم يشف البرص، ولم يبعث الاموات، ولم يخرج الشياطين، ولم يمش على الماء، ولم يغتفر للزانية ولم يخز راجميها الا ليشق الطريق امام الشوق الذي كان يتأكل قلب المجدلية وليهديه. خيل الي انه لم يصلب ولم يمت ولم يغفر لصالبيه الا ليعلمها ان الانسان عبثاً ما يرشف خمرة الحياة «اذا كان حبه لا يتجاوز حدود شخصه».

ولم لا؟ لم لا يكون قد تم كل ذلك استجابة لشوق المجدلية ورغبة في خلاصها؟ أفلا يكون قد كتب الانجيل لنا جميعاً ومن اجل خلاصنا جميعاً؟ أفلا يكون قد فدانا الفادي جميعاً؟ افلسنا جميعا تلك المجدلية لا يطلب من اي احد منا الا ان يرغب في ان يسمع وفي ان يرى وفي ان يحب ليخلص؟

وخيل اليّ ان المسيح ما بعث الا لتشهد المجدلية انتصار الحب على الموت والا لنشهد نحن ايضا ذلك.

شعرك في «سر الحب» يفسح لان نفهم الانجيل على ضوء شواعر القلب واحاسيسه، ولان نحب المجدلية التائبة من غير ان نخطىء مع الخاطئة.

ولو كان لي رأي، لو كان يقام لرأيي وزن في ادب الفرنسيس، لتحدثت طويلاً اليك عن اعجابي بهذه اللغة، لغة الكتاب، وعن اصالتها وما يطرب في هذه المقطعات المتناسقة التي الزمت نفسك بها فقلبت الاعجاز، ولقلت لك كم هو بليغ سهلك الممتنع، وكم هي رائعة ثروة قوافيك، وكم هو مستحب تصرفك بها ساعة تريد وعلى ما تشتهي مع اتزان موسيقاها ورقة حواشيها.

ولكن لن احرم نفسي ولن احرمك الاعراب عن اعجابي بالخيال المجنح الذي حف بالكتاب من اول حرف في اول قصيدة حتى آخر حرف من آخر قصيدة. الا بورك بخيالك من لبناني مجنح خصب بعيد اغوار الارض ومرامي السماء.

« هنا ضياء وهنالك ضياء ». « بعيداً وفي قلبك وفي كل مكان ضياء » حتى لم يعد الموت في اعيننا نحن ايضاً الا ضياء.

لقد عجزت يا صديقي عن وصف ما فهمت من كتابك وما اوحى لي حتى لترى انني استعين بكلامك على التعبير، فاعذر مقصراً في الاداء غير مقصر لا في الحب ولا في التقدير، وابقاك للبنان فخراً. فقد صرنا بعد كتابك نستطيع ان نقدم لمؤتمر الثقافة الدولي نتاجاً من ثمار حقولنا تموت على مثله بساتين الدنيا حرقاً.

صلاح لبكي

مختصر تاريخ سوريا ولبنان

لعيسى ميخائيل سابا – ٢٠٧ صفحات – مكتبة صفير – بيروت

كتاب مدرسي وضع خصيصاً لتلاميذ الشهادة الابتدائية والتكميلية، يبتدىء بسرد حوادثه بالعصر الحجري ثم تتسلسل مع من تعاقب على سوريا ولبنان من امم غازية كالحثيين والاشوريين والآراميين والفينيقيين والفرس والرومان كما نال الفتح العربي نصيباً وافراً من صفحات الكتاب، حتى تنتهي الحوادث الى ايامنا الاخيرة هذه، حاملة في طياتها الاستقلال التام وجلاء الجيوش الاجنبية.

وقد لمسنا خلال تتبعنا لمراحل الكتاب نزاهة خالصة في معالجة المؤلف للحوادث، وتلك ناحية مهمة عندنا في لبنان، حيث لا تزال تدرس كتب التاريخ المدسوسة التي وضعت للتفريق بين ابناء البلد الواحد لغاية في نفس المستعمر.

وقد امتاز الكتاب ايضاً بناحية جديدة بالتنويه، فقد انهى كل فصل من فصوله بخلاصة موجزة اتبعها باسئلة تسهل امام التلميذ سبيل الفهم والحفظ، كل ذلك بلغة سهلة عذبة في عرض موجز يسهل المهمة الملقاة على عاتق التلميذ والمعلم. م

تاريخ الثورة العلوية

للاستاذ عبد اللطيف يونس – ٢٢٦ صفحة – مطابع ابي الفداء – حماة

يضم هذا الكتاب بين دفتيه تأريخ مرحلة من مراحل جهاد الشعب السوري في سبيل استقلاله والاحتفاظ بمكانته بين الشعوب الحرة، وقد كانت اولى الثورات التي قام في وجه المستعمرين في اول عهد الاحتلال، ثورة بلاد العلويين بقيادة الشيخ صالح العلي التي دامت ثلاث سنوات رغماً عن انقطاع المعونة والمساعدات عنها سنة بعد خروج الملك فيصل من سوريا.

ابتدىء الكتاب بلمحة عن تاريخ العلويين منذ ايام الاسلام الاولى ثم تلتها نبذة عن تاريخ الشيخ صالح العلي وايمانه وشجاعته وعن مزاياه المتعددة كقائد، ويلي ذلك كله تفاصيل دقيقة عن مراحل الثورة وعن عنف مقاومة المستعمر لقمعها مما لم يفت في عضد المجاهدين بل زادهم ايماناً على ايمان وعزيمة على عزيمة.

والكتاب بجملته موفق في سرده دقيق في ملاحظاته وتدقيقه.

نوادر الظرفاء في التاريخ

لصادق الملائكة – ٢٥٦ صفحة – مطبعة الجامعة – بغداد

هذا الكتاب طريف في موضوعه اذ يبحث كما يدل عليه عنوانه في رجال الفكاهة مع سرد لبعض نوادرهم وفكاهاتهم، كابن هرمة والاشجعي وبشار بن برد وابو دلامة وابو السائب المخزومي وابن سودون وابو العيناء وغيرهم كثير.

وقد عني المؤلف بشرح الكلمات الغامضة في اسفل كل صفحة تسهيلاً للقارىء في تفهم الملحة.

الغزالي

للاب يوحنا قمير – ١٣٥ صفحة – المطبعة الكاثوليكية – بيروت

هذا هو الكتاب الرابع من سلسلة فلاسفة العرب التي يقوم على نشرها الاب الفاضل يوحنا قمير استاذ الفلسفة في مدرسة القديس يوسف ببيروت وقد سبق للاديب ان نوهت بالاجزاء الثلاثة الماضية.

والكتاب واقع في جزأين اختص الاول منها بترجمة الغزالي وآرائه واختص الثاني ببعض مختارات من مؤلفاته وقد كتب باسلوب مبسط وواضح اذ انه كتب خصيصاً لطلبة صف الفلسفة، فجاء سريع العرض، واضح الفكرة سليم الغاية، ونرجو من المؤلف الكريم ان يواصل جهده في هذه السلسلة القيمة المفيدة.

جولة الأديب في شهر

ثلاث قصائد لايليا ابو ماضي

●

عصر الشبيبة

القصيدة التي القاها الشاعر في الحفلة التكريمية التي اقامها له صديقه السيد مالك الدوماني في فندق روزفلت – هوليوود بكاليفورنيا

يا ليتما رجع الزمـان الاولُ ... زمن الشباب الضاحك المتهللُ
عهد ترحلت البشاشة اذ مضى ... واتى الاسى فاقام لا يترحل
وَلّى الصبا وتبددت احلامه ... اودى به وبها قضاء حوّل
حصدت انامله المنى فتساقطت ... صرعى كما حصد السنابل منجل
فالروح قيثار وهت وتقطعت ... اوتاره . والقلب قفر ممحل
والشيب يضحك برقه في لمتي ... هذي الضواحك يا فؤادي انصل
اشتاق عصرك يا شبيبة مثلما ... يشتاق [illegible] الاول
اذ كانت الدنيا بعيني هيكلا ... فيه الاهـات الجمال ترتل
من كل حسناء كأن حديثها ... السلوى او الوحي الطهور المنزل
وانا وصحبي لا نفكر في غد ... فكأن ليس غد ولا مستقبل
نلهو ونلعب لا نبـالي ضمنا ... كوخ حقير ام حوانا منـزل
نتوهم الدنيـا لفرط غرورنا ... كملت بنا وبغيرنا لا تكمل
ونخال ان البدر يطلع في الدجى ... كـيما يسامرنا فلا نتململ
ونظن ان الروض ينشر عطره ... من اجلنا . ولنا يغني البلبل
فكأنما الازهار سرب كواعب ... وكأنمـا هو شاعر يتغزل
في كل منظور نراه ملاحـة ... وسعـادة في كل ما نتخيل
لا شيء يزعج في الحياة نفوسنا ... لا طارئ .. لا عارض لا مشكل
فكأننا في عـالم غير الذي ... تتزاحم الايدي به والارجل
وكأننا رهط الكواكب في الفضا ... مهما جرى في الارض لا تتزلزل
الناس في طلب المعاش وهمنا ... كأس مشعشعة وطرف اكحل
كم عنفونا في الهوى واسترسلوا ... لو انهم عرفوا الهوى لم يعذلوا
ولو انهم ذاقوا كما ذقنا الرؤى ... شبعت نفوسهم وان لم يأكلوا
زعموا تبدلنـا ولم يتبدلوا ... ان الحقيقة كلنـا متبدل .
حُرموا لذاذات الهيام وفاتنا ... درك الحطام . فاينا هو اجهل ?
اني تأملت الانام فراعـني ... كيف الحياة بهم تجدّ وتهزل
لا يضبطون مع الصروف قيادهم ... الا كما ضبط الميـاه المنخل
بينا الفتى ملء النواظر والنهى ... فـاذا به رقم خفي مهمل
يا صاحبي والعمر ظل زائل ... ان كنت تأمل فيه او لا تأمل
الذكر اثمن ما اقتنيت وتقتني ... والحب انفس ما بذلت وتبذل
قيل اغتنى زيد فليتك مثله ... انا مثله ، ان لم اقل ، انا افضل
الشمس لي وله . ولألاء الضحى ... والنيرات . ومثلنا المستول
اما النضار فانه يا صاحبي ... عرض يزول وسلعة تتنقل
ما دمت في صحبي ودام وفاؤهم ... فانا الغني الحق لا المتمول
انا لست اعدل بالمناجم واحداً ... وابيع من عقلوا بما لا يعقل
نفس الكريم «كمالك» هي ماسة ... والماس لا يصدا ولا يتبدل
صاحبته فصحبت منه مهذباً ... وبـلوته حراً يقول ويفعل
هذا «ابو القمرين» لو اخلاقه ... في حنظل لحلا وطاب الحنظل
ولو انها ماء لكانت كوثراً ... مترقرقاً منه نعبّ وننهـل
هو في المروءة جابر ، هو في السماحة ... حاتم ، هو في الوفاء سموأل
هو للحيارى كوكب متألق ... هو للعطاشى جدول متهلل
جمع المروءة والشجاعة والندى ... هو واحد وكأنما هو جحفل
صارت به دنياي روضاً ضاحكاً ... فكأنما رجع الزمان الاول
فله الثنـاء لانـه متفضل ... ولكم فانتم كلكم متفضل

عطش الارواح

القصيدة التي القاها الشاعر في الحفلة التي اقامتها مؤسسة الخوزي جرجس الخوري في مدينة كانتن باوهايو

زحزحت عن صدرها الغيم السماء ... واطل النور من كهف الشتاء .
فالروابي حلل من سندس ... والسواقي ثرثرات وغنـاء .
رجع الصيف ابتساماً وشذى ... فمتى يرجع للدنيا الصفـاء
فأرى الفردوس في كل حمى ... وارى النـاس جميعاً سعداء .
زالت الحرب وولت انمـا ... ليس للذعر من الحرب انقضاء .
ان صحونا فاحـاديث الوغى ... في الحمى الآهل والارض العراء .
واذا نمنا ترامت في الكرى ... صور الهول واشباح الفناء .
فهي في الاوراق حمد هـائج ... وعلى «الراوي» فحيح الكهرباء .

نتقي في يومنا شر غد … واذا الصبح انطوى خفنا المساء
عجباً ! والحرب باب الردى … وطريق لدمار وعفاء
كيف يهواها بنو الناس فهل … كرهوا في هذه الدنيا البقاء ؟
ان يكن علم الورى يشقيهم … يا الهي رد للناس الغباء
وليجيء طوفان نوح قبلما … تغرق الارض بطوفان الدماء
واعصم الاسرار واحجب كنهها … عن ذوي العلم وارباب الذكاء
فلقد اكثرت اسباب الاذى … عندما اكثرت فينا العلماء
كم وجدنا آفة مهلكة … كلما زحزحت عن سر غطاء
قد ترقى الخلق لكن لم تزل … شرعة الغابة شرع الاقوياء
حرّم القتل . ولكن عندهم … اهون الاشياء قتل الضعفاء
لا تقل لي هكذا الله قضى … انت لا تعرف اسرار القضاء
جاءني بالماء اروي ظمأي … صاحب لي من صحابي الاوفياء
يا صديقي جنّب الماء فمي … عطش الارواح لا يروى بماء
انا لا اشتاق كاسات الطلا … لا ولا اطلب مجداً او ثراء
انما شوقي الى دنيا رضى … والى عصر سلام واخاء
لا تعدني بالسما يا صاحبي … السما عندي قرب الاصدقاء
واراني الآن في اكنافهم … فانا الآن كأني في السماء !

لوس انجلس

القصيدة التي القاها الشاعر في « الحفلة التكريمية » التي اقيمت على شرفه في لوس انجلوس برعاية الجمعية السورية اللبنانية في فندق امباسادور .

انا لست في دنيا الخيال ولا الكرى … وكأنني فيها لروعة ما ارى
يا قوم هل هذي حقائق ام رؤى … وانا؟ أصاحٍ ام شربت مخدرا
لا تعجبوا من دهشتي وتحيري … وتعجبوا ان لم اكن متحيرا
كيف التفتّ رأيت آية شاعر … لبق تعمد ان يجيد ليبهرا
مسحت باصبعها الحياة جفونه … فرأى المحاسن فانتقى وتخيرا
ما « لوس انجلس » سوى انشودة … الله غناها فجن لها الورى
خلع الزمان شبابه في ارضها … فهو اخضرار في السفوح وفي الذرى
اخذت من المدن العواصم مجدها … وجلالها وحوت حلاوات القرى
هي واحة المتعبين ، وجنة … للعاشقين ، وملعب لذوي الثرا
كفّنت في نيويورك احلام الصبا … وطويتها . وحسبتها لن تنشرا
لكنني لما لمحت زهورها … شاهدت احلامي تطل من الثرى
تتنفس الهضبات في رأد الضحى … تهراً وفي الآصال مسكاً اذفرا
فالسحر في ضحك الندى مترقرقاً … كالسحر في رقص الضياء معطرا
قل للألى وصفوا الجنان واطنبوا … ليست جنان الخلد اعجب منظرا
كل الفصول هنا ربيع ضاحك … فاذا ترى شهراً رأيت الاشهرا
ان كنت تجهل ما حكايات الهوى … فاصغ لوشوشة النسيم اذا سرى
وانظر الى الغبراء تنبت سندساً … وتأمل الغدران تجري كوثرا
واشرب بعينيك الجمال فانه … خمر بغير يد الهوى لن تعصرا
حاولت وصف جمالها فكأنني … ولد باغمله يحوش الابحرا
واستنجدت روحي الخيال فخانني … وكبا جواد فصاحتي وتعثرا
ادركت تقصيري وضعفي عندما … ابصرت ما صنع الاله وصورا
اني شهدت الحسن غير مزيف … بئس الجمال مزيفاً ومزورا
احببت حتى الشوك في صحرائها … وعشقت حتى نخلها المتكبرا
اللابس الورق اليبيس تنسكاً … والمشمخر الى السماء تجبرا
هو آدم الاشجار ادركه الحيا … لما تبدى عريه فتسترا
ابن الصحارى قد تحضر وارتقى … يا حسنه متبديا متحضرا
وبدت غياض البرتقال فاشبهت … جلباب خود بالنضار مزررا
من فوقها انتشر الضياء ملاءة … من فوقه جو صفا وتبلورا
وكأنما تلك القصور على الربى … عقد لغانية هوى وتبعثرا
لما تراءت من بعيد خلتها … سفناً وخلت الارض بحراً اخضرا
نفض الصباح سناه في جدرانها … واتى الدجى فرأى منائر للسرى
متألقات كابتسامات الرضى … تنسيك رؤيتها الزمان الاعسرا
انا شاعر ما لاح طيف ملاحة … الا وهلل للجمال وكبرا
وزعت نفسي في النفوس محبة … لا شاكيا الماً ولا متضجرا
ومشيت في الدنيا بقلب يابس … حتى لقيت احبتي فاخضوضرا
قد كنت احسبني كيانا ضائعاً … فاذا انا شخص يعيش مكررا
فكأنني ماء الغمام اذا انطوى … في الارض ردته نباتاً مثمرا
ما اكرم الاشجار في هذا الحمى … فيها لقاصدها البشاشة والقرى
تقري الفقير على خصاصة حاله … كرماً كما تقري الغني الموسرا
البذل ديدنها سواء جئتها … متقدماً ام جئتها متأخرا
فكأنها منكم تعلمت الندى … كيما تغيث الناس ان خطب عرا
يا اصدقائي ! كيف اشكر فضلكم … أيفي جميل صنيعكم ان اشكرا
لا . فالكلام جليله وحقيره … عرض . فكيف به اقابل جوهرا
انا لا اساوم في المحبة صاحباً … ان المحبة لا تباع وتشترى
فسلوا قلوبكم فما من منبىء … كالقلب يصدق ان حكى او خبّرا
شكري لكم شكر الحديقة للحيا … عطشت فرواها واحيا المقفرا
بل شكر سار تائه في فدفد … للفجر لاح لمقلتيه واسفرا
جربت اصناف الانام وزنتهم … فوجدتكم انقى واكرم عنصرا
لولا ارتفاع مقامكم لم يرتفع … ابداً مقامي عند ذاتي والورى

اولا ضياء نفوسكم وشعاعها حولي لما ابصرت نفسي نيرا
يثني عليكم عالماً او جاهلاً كل امرىء ، مدح الكريم الخيرا .

« السمير » نيويورك — ايليا ابو ماضي

اميل لدويغ

بقلم اميل لدويغ — ترجمة قدري قلعجي

توفي خلال الشهر الماضي المؤرخ الالماني الكبير اميل لدويغ الذي يعده بعض النقاد اعظم مؤرخ في العصر الحاضر .

ونذكر بهذه المناسبة ان صاحب الاديب كان قد تعرف بالمؤرخ الالماني الكبير في سنة ١٩٣٧ اثناء زيارة قام بها الى السودان استعداداً لوضع كتابه الشهير عن النيل ، وخلال المدة التي اقامها الاستاذ البير أديب هناك ، شرح له القضية السودانية شرحاً وافياً وبين له الاسس المتينة التي تقوم عليها وحدة وادي النيل ، وجمعه بنخبة طيبة من الشباب السوداني الوطني المثقف في حفلة اقامها على شرف الاديب المؤرخ ، فدارت بينه وبينهم احاديث عن الاوضاع الاجتماعية والسياسية في السودان وعن تعلقهم باتلك الوحدة التي تربطهم بمصر برباط متين .

كاتب

من عادة اميل لدويغ ان يتحدث في مقدمات كتبه عن نفسه ، وان يشرح بعض نظرياته ، وفيما يلي مقاطع هامة من هذه المقدمات :

● ولدت في المانيا ، وهاجرت منها الى سويسرا سنة ١٩٠٦ وانا في الخامسة والعشرين من عمري ، ومن حسن حظي اني لا ازال اعيش في سويسرا كمواطن من مواطنيها .

لم يكن لآبائي اولاصدقائي يوماً اية صلة بالحكومة الالمانية ، الا صلتهم بها كأطباء اثناء الحروب .

وقد انتشرت مؤلفاتي قبل الحرب العالمية الاولى وخلالها وبعدها ، انتشاراً كبيراً في الاوساط الثقافية بالمانيا . وكنت اعود اليها كل سنة لاقيم فيها بضعة اسابيع ضيفاً على اصدقائي .

وحين تولى هتلر الحكم امر بأحراق كتبي .

« من كتاب « برابرة وموسيقيون » سنة ١٩٤٠ »

● ان مؤلف هذا الكتاب ، الالماني بمولده ، والذي عاش في بيئة عالية الثقافة كان كل من بيتهوفن وغوت الهاً فيها ، مدين بتكوينه الى الفكر الالماني . اما الدولة الالمانية فقد كان يضيق بها منذ حداثته ، ولم يكد يبلغ سن الخامسة والعشرين حتى نفى نفسه الى سويسرا ليتنفس فيها بملء حريته .

«من كتاب « الالمان : تاريخ مزدوج لاحدى الامم » سنة ١٩٤١»

● فنانان كبيران كانا دليلي حياتي : غوت الذي وضعت عنه سنة ١٩٠٩ ترجمة من طراز غاية في الجدة ، وبيتهوفن الذي بدأت بكتابة ترجمته سنة ١٩٢٧ بتصميم كان طابعه لا يزال رومانتيكياً جداً ، صدر في كتابي : « ثلاثة جبابرة » .

وقد ورثت عبادة بيتهوفن عن جدي الذي اطلق اسم لدويغ منذ اكثر من قرن ، على اولاده الثلاثة الى جانب اسمائهم الاولى ، وعندما بدل ابي اسم اسرته استعاض منه باسم لدويغ ايضاً ، بحيث اضحى لدويغ عندي اشبه بقديس .

وفي الحفلات الموسيقية التي تعلمنا فيها معرفة السونات كان رفيقنا نيف احد احفاد بيتهوفن .

واتيح لي فيما بعد ان اختلف الى دار الامير ليشنوفسكي ، احد احفاد الرجل الذي ناصر بيتهوفن واخذ بيده ، وان اسمع السمفونية الرابعة في القصر السيليزي وهي تعزف على نفس البيانو الذي عزف عليه المعلم اولى انغامها ، وان أحل ضيفاً على اسرة مالفاتي التي كانت جدتها احدى النساء اللواتي احببن بيتهوفن حباً عظيماً .

« من كتاب « بيتهوفن » سنة ١٩٤٥ »

● درست الجريمة العاطفية منذ اكثر من ثلاثين سنة في دار المعلمين التي كان يديرها استاذي الالماني الكبير فرانز فون ليست ، ثم عقدت حول هذا الموضوع الاطروحة التي نلت بها شهادة الدكتوراه في الحقوق . وعدت فيما بعد الى معالجة هذه المعضلة اكثر من مرة في كتابتي عن عدة شخصيات تاريخية .

« من كتاب « جريمة دافوس » سنة ١٩٣٦ »

● عندما اخترت سنة ١٩١٧ المنهج الحديث في ترجمة الشخصيات ، كانت فكرتي الاساسية تتلخص ببساطة في ان العوامل الانسانية كانت حاسمة ، وبالتالي ان الحياة الشخصية والحياة العامة تؤثر كل منهما في اختها وتفسر كل منهما الاخرى .

ان اكتشاف الانسان من خلال اعماله ، يبدو لي اكثر اهمية من الاعمال نفسها . واذا كان تاريخ الملوك يدرس اكثر من تاريخ العمال ، فذلك ، ولا ريب ، لقلة الوثائق التي تتعلق بهؤلاء .

وليست للدراسة التاريخية من اهمية ، اذا لم تحاول ان تستخلص من كل حادثة الرمز الذي تنطوي عليه ، ان الرمز هو وحده الذي يهم ، لانه يعكس عواطف البشر في صراعها مع قوى القدر ، فليفرض بذلك مقارنة الاحداث الغابرة بعصرنا الحاضر ، وبانتصاراتنا وخسائرنا في الحياة العامة وفي حياتنا الخاصة على السواء .

وان الانسان الذي لا يجد نفسه في البشرية التي نعرض ظلالها لهو انسان لا يرى غير الواقع ولا يستطيع ان يستخلص منها مادة خصبة لانماء شخصيته .

« من كتاب « البحر المتوسط » سنة ١٩٤٢ »

● أغرب احاديثي الصحفية مع الشخصيات الثقافية والسياسية ؟

حديث جرى بيني وبين الكاتب الفرنسي هنري بوردو . فقد كان لطيفاً وظريفاً كعادته ، ولكني كنت أشعر بتحفظه كلما تحدثت في السياسة ، ثم احسست بانه غدا يشك بي ويخشى ان انشر ما يقوله لي . ولما كنت اريد نشر ذلك حقاً ، فقد اخذت احاول اقناعه بأن حديثنا ليس « مهنياً » ، وفتحت له قلبي اكثر مما افعل عادة حين يدور الحديث حول المعضلات السياسية .

وبعد قليل من الزمان تلقيت مجلة باريسية نشر فيها مقال يتضمن حديثنا ذاك ، وقد كتبه هنري بوردو نفسه ، مسجلاً فيه بأمانة ما صرحت له به من آراء حول كثير من المسائل السياسية .

ان الرجل الذي حسبت انه عظم الحذر من « الاحاديث المهنية » قد اخذ « الحديث » بنفسه واخرجني منه صفر اليدين .

« من مقال حديث له »

قدري قلعجي

عشتروت وادونيس

كيف نظمت هذه الملحمة الفريدة من نوعها ؟

اتصل بنا ان حضرة الاديب الشاعر الدكتور حبيب ثابت نظم ملحمة شعرية مؤلفة من ثلاثمائة بيت عن عشتروت وادونيس وستظهر هذه الملحمة مع مقدمة نثرية في اواخر هذا الشهر في منشورات دار مجلة الاديب .

وقد قابل مندوبنا الخاص الدكتور ثابت وسأله عن هذه الملحمة واسباب نظمها فادلى اليه بالحديث الآتي :

وضعت عدة كتب عن عشتروت وادونيس فاحببت انا بدوري ان انظم ملحمة شعرية عن عشتروت الالهة اللبنانية وادونيس الاله اللبناني .

اما عشتروت فقد عاشت على ضفاف بحيرة اليمونة وحتى الآن يوجد على ضفاف تلك البحيرة ثلاثة هياكل منها هيكل يقال له قصر البنات .

وقد جاءت التوراة على ذكر عشتروت في مواضع عديدة منها سفر القضاة الاصحاح الثاني العدد ١٢ و١٣ . «وقد تركوا الرب اله ابائهم الذي اخرجهم من ارض مصر وتبعوا الهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها واسخطوا الرب وتركو الرب وعبدوا البعل والعشتروت» الخ..

وكتب شكسبير عن عشتروت وادونيس كما كتب منها الكثيرون .

ولشدة تعلقي بوطني العزيز لبنان احببت ان انظم الملحمة الشعرية عن هذين الالهين العاشقين .

فمنذ عشر سنوات وانا اشتغل بنظمها وستصدر في اواخر هذا الشهر وتطبع في مطابع الاحد من منشورات دار مجلة الاديب .

ويوجد فيها عدة رسوم وخصوصاً رسم تمثال ادونيس الحجري وقد وجد هذا التمثال في حوران وعثر عليه بناء من ضهور الشوير كان يقوم بتشييد بناية هناك فحمله الى بلدته وسند به باب البيت لانه لم يعرف قيمته التاريخية .

وقد جاءه في احد الايام احد تجار الآثار فاشتراه بمبلغ مئتي ليرة لبنانية وكان ذلك منذ عشرين سنة .

واتصل الخبر بالحكومة الفرنسية المنتدبة فارادت ان تستولي على هذا التمثال ولكن تاجر الآثار اخفاه فاعتقلته السلطة وزجته في السجن ، اما التمثال فبالرغم من الجهود التي بذلت للاستيلاء عليه فانه قد تبخر بين الارض والسماء .

ويوجد اليوم تمثال لمقتل ادونيس في الغينة ورسم هذا التمثال موجود بين الرسوم التي تضمها هذه الملحمة التي تتألف من ثلثمائة بيت من الشعر مع مقدمة نثرية تتراوح بين اربعين او خمسين صفحة .

اما الاساس الذي بنيت عليه هذه الملحمة فهو انه جاء في الاساطير عن عشتروت وادونيس احاديث مختلفة . اما الاسطورة التي يسوقها هذا الكتاب في شطره الشعري عن خيال خاص وتصور غير مردود الى تاريخ رزين او خرافة عابثة فهي :

ان آلهة بعلبك قد اقامت ليلة راقصة لجميع آلهة الاولمب وكان بين الذين دعوا الى تلك الليلة عشتروت وادونيس . وكانت عشتروت في ذلك الحين تقيم على ضفاف بحيرة اليمونة وادونيس يقيم على ضفاف نهر ابراهيم فتعارفا وتحابا فحسدتهما الآلهة وطردتهما من قدس الهيكل فعادت عشتروت الى بحيرة اليمونة وعاد ادونيس الى نهر ابراهيم .

وفي احدى الليالي المقمرة جد الوجد بعشتروت فالقت بنفسها في مياه البحيرة علها تتحول الى قطرة من الماء تتغلغل في شقوق الارض وطياتها فتصل الى نهر ابراهيم حيث يقيم حبيبها ادونيس .

اما ادونيس فقد ذهب في احد الايام الى الصيد وكان قد استقمه الفراق واضناه لعل الصيد يخفف ما به فكان ان تصدى له الخنزير البري في الغاب فقتله على الفور فاستحال دمه الاحمر الى شقيق النعمان فجاءت نحلة من كرائم النحل تسقط على الشقائق

وتمص منها المصير حتى اذا ملئت من الحلاوة مالت الى النهر تروي الظمأ فامتزجت قطرة الماء (عشتروت) بقطرة من دم (ادونيس) وتصاعدت في الجو وتلاشت فيه .

فكان بعد ذلك ان كل حي يتنشق الهواء يستنشق من دم هذين العاشقين دون ان يدري فيحيا ويحب ويشقى مثلهما.

« تلغراف بيروت »

ماركوني واشعة الموت الرهيبة

نشرت الصحف الايطالية ذات النزعة الكاثوليكية خبراً يلوح انه مستقى من دوائر الفاتيكان ومؤدى الخبر ان البابا بيوس الحادي عشر ، سلف البابا الحالي كان يعتقد ان العالم الايطالي العظيم غوليلمو ماركوني مكتشف التلغراف اللاسلكي ، لم يمت عام ١٩٣٧ ميتة طبيعية ، بل انتحر لان موسوليني حاول اكراهه على الافضاء بسر اختراع حربي خطير الشأن ، وقد اوردت جريدة « لارومانسيا » لهذه المناسبة تفاصيل عن ذلك الاختراع العظيم الذي حمل ماركوني سره الى القبر وابى ان يفشيه لئلا يستخدمه الفاشست في القضاء على الحضارة

في عام ١٩٣٠ انطلق يخت العالم ماركوني يجوب البحار وعلى ظهره صاحبه وامين سره الخاص . وشاع عامئذ ان العالم انصرف في عرض البحر الى تجارب خطيرة جداً . وايد اصدقاء الرجل هذه الاشاعة ولكنهم رفضوا تحديد نوع التجارب ومدى خطورتها .

وانقطع ماركوني عن العالم وقضى نحواً من خمس سنوات في البحث والدرس واجراء التجارب وفي عام ١٩٣٧ الحت الصحف الفاشستية الى اختراعات حربية سيضعها العالم الايطالي في متناول الدولة اذا نشب نزاع مسلح .وبدأت لهجة موسوليني تقسو،وتبدل موقفه من جميع الامم ومن الدول كافة، فهو يهدد ويتوعد ويكثر من الاشارة الى قوة ايطاليا وجبروتهـا وفي الوقت نفسه سجل المراقبون الاجانب في روما تعدد زيارات ماركوني لقصر البندقية .

وفي ١٢ حزيران ١٩٣٦ اذيع بلاغ رسمي جاء فيه ان رئيس الاكاديمية غوليلمو ماركوني قام على سيارة يقودهـا الدوتشي بتجربة علمية عظيمة الشأن ، بالغة الخطورة وقد نجحت التجربة نجاحاً باهراً .

ويقول الذين اطلعهم موسوليني فيما بعد على ما حدث ان العالم الايطالي جهز سيارة الدوتشي بآلة توفر على صنعها طيلة ست سنوات وهذه الآلة ترسل موجـات ذات طبيعة مجهولة تستطيع وقف المحركات وتعطيلها في البر والبحر والجو .

وقد اجريت التجربة دون ان يشعر بها احد من مكان يشرف على طريق للسيارات،فتوقفت سلسلة منها دون ان يدرك السائقون سبباً معقولاً لوقوفها . وفي مساء اليوم نفسه صدرت الاوامر الى الصحف الايطالية بان لا تذكر شيئاً عن هذه الظاهرة العجيبة .

بيد ان الدوتشي وقد اعماه الفرح لم يتمالك بعد ايام من افشاء السر لاخصائه،وبعد اسبوع خطب من شرفة قصر البندقية فما تمالك من التلميح الى«اشعة الموت»التي استطاع العالم الايطالي ان يخترعها .

كان لاشارة موسوليني وقع القنبلة في المحافل الايطالية بل العالمية . واقبل الناس على ماركوني يستوضحونه الخبر فاعتصم بالصمت . ولكنه بدا لزائريه مهموماً كاسف البال،فالاختراع الذي اراده هو اداة تعمل لخير الانسان يريده موسوليني الطاغية سلاحاً فتاكاً .

وفي شهر آب، طلب ماركوني مقابلة البابا بيوس الحادي عشر، فاستقبله الحبر الاعظم واستبقاه لديه ساعتين ولم يحضر هذه المقابلة ثالث .

وفي مطلع ١٩٣٧ تأزم الموقف الدولي فاستدعي ماركوني الى قصر البندقية،حيث اختلى به الدوتشي ، ورغب اليه القيام بتجربة جديدة اوسع نطاقاً من الاولى ، وناشده الوطن ان يفعل بعد ان رآه متردداً بادي الاضطراب،ففعل ولكن على كره منه . وجرت التجربة في جبال « البانى » وسلطت الاشعة هذه المرة ضد الدبابات والسيارات المصفحة،فتعطلت المحركات في الحال واصيب السائقون باعراض غريبة ، فنقلوا الى المستشفيات حيث توفي اكثرهم دون ان يهتدي الاطباء الى العلة . اما ماركوني فقد ثبت لديه ان اشعته القاتلة تخرق تصفيح الدبابات وتعطل المحركات وتسل القلوب .

وبعد اسبوع شوهد ماركوني يصعد الى يخته والدمعة في عينيه .

وبعد ان قضى في البحر ثلاثة اسابيع عاد الى روما حيث جرت له مقابلة ثانية مع البابا . وفي المساء شوهد في سيارة عسكرية متجهة به الى قصر البندقية ، حيث استقبله الدوتشي . ويقول الذين شاهدوا الدكتاتور يشيع زائره العظيم ان موسوليني كان هائجاً مما يدل على ان نتيجة المقابلة لم تكن سارة .

وفي الليل تمشى العالم وحده في غرفته،ثم شرع يطالع،واستيقظ خادمه عند الفجر فوجد حجرة ماركوني مضاءة، ولما لم يجبه احد ، فتح الباب ودخل فاذا سيده مسجى على سريره جثة بلا روح .

وعند الظهر صدر بلاغ ينعى العالم، ويقول ان الاطباء يعتقدون بان ماركوني توفي بالسكتة الدماغية .

ونقل النبأ الى البابا بيوس الحادي عشر فوجم ولما حضرته الوفاة بدوره بعد بضعة اشهر اسر الى اخصائه بما يفهم منه ان ماركوني آثر الانتحار على الافضاء بسر اختراعه الى موسوليني .

« النهار »



٢٧ ايلول ١٩٤٨ – اعلمت الدول الغربية روسيا بأنها قررت رفع قضية برلين الى مجلس الامن .

– اعلن المستر بيفن في هيئة الامم ان الحكومة البريطانية تؤيد مشروع برنادوت بمجموعه .

٢٨ – لم يعط مجلس الامن حكماً بقضية حيدر آباد .

– رفضت بلغاريا طلب بريطانيا واميركا للتحقيق على الحدود اليونانية .

٢٩ – نشر تقرير الدكتور بانش الوسيط بالوكالة وفيه يلقي تبعة مقتل برنادوت على اسرائيل .

– ادرجت قضية فلسطين في جدول اعمال مجلس الامن .

– قدمت المجر طلباً لدخول منظمة الامم المتحدة .

٣٠ – طلبت الجامعة العربية من هيئة الامم تقديم المساعدة المالية للاجئين

– انكشف الستار في اليابان عن فضيحة كبيرة في المالية من رجالها رئيس الوزارة ووزير المالية .

١ تشرين الاول – عقد مؤتمر فلسطيني في عمان يحتج على حكومة عموم فلسطين .

– حدثت اتصالات بين اميركا واسبانيا .

٢ – فاجأ المسيو فيشنسكي لجنة الطاقة الذرية باقتراح مزدوج حول حظر استعمال الاسلحة الذرية، واقامة رقابة دولية على الطاقة الذرية بشرط ان يوقع البندان وينفذا معاً .

٤ – وضعت الجمعية التأسيسية بغزة الدستور المؤقت لفلسطين .

– اعترضت روسيا على صلاحية مجلس الامن لبحث قضية برلين ، واقترحت عقد مؤتمر لوزراء الخارجية لبحثها .

٥ – قرر مجلس الامن ادراج مسألة برلين في جدول اعماله باكثرية الاصوات .

– قرر مندوبا روسيا واوكرانيا ان لا يشتركا في مناقشات المجلس لمسألة برلين .

٦ – اعلنت اميركا عن قبولها لعقد اجتماع لوزراء الخارجية الاربعة اذا رفع الحصار عن برلين .

٧ – تألفت لجنة فرعية لبحث الرقابة على الطاقة الذرية .

– ارسلت اميركا وبريطانيا احتجاجاً شديداً لروسيا على المناورات التي تقوم بها في الممر الجوي فوق برلين .

٨ – فازت مصر بعضوية مجلس الامن

– اجلت محادثات مجلس الامن دون الوصول الى قرار حول برلين .

٩ – القى المستر تشرشل خطاباً حمل فيه روسيا تبعة اثارة الحرب ، واهاب باميركا ان لا تدمر قنابلها الذرية .

١١ – خطب وزير الحربية البريطانية بأكسفورد فقال ان تشرشل يعد خطراً على السلام ؟ وهو يرغب في حرب جديدة .

– عدل المستر ترومن عن ارسال مندوب خاص عنه لموسكو .

– افتتح رئيس الوزارة البريطانية في لندن مؤتمر رابطة الشعوب البريطانية .

١٢ – اعترفت الحكومتان العراقية والمصرية بحكومة فلسطين العربية .

– اضرب نصف مليون عامل فرنسي عن العمل في مناجم الفحم .

١٣ – اعترفت الحكومتان اللبنانية والسورية بحكومة فلسطين العربية .

١٤ – بدأ مجلس الامن بدراسة حوادث الهدنة في فلسطين .

– سلم المسيو فيشنسكي مجلس الامن جواب حكومته بشأن برلين .

١٦ – قامت الطائرات اليهودية بغارات على غزة والعريش ، وقد احتجت مصر لدى مجلس الامن .

– اعترفت اليمن والمملكة السعودية بحكومة فلسطين .

– زار المستر مارشال اليونان .

١٨ – لا يزال القتال محتدماً في فلسطين على الجبهتين المصرية والعراقية .

– كذب معالي خشبة باشا قيام كتلة شرقية في الوقت الحاضر .

١٩ – اصدر مجلس الامن نداء مستعجلاً للعرب واليهود بوقف اطلاق النار في النقب .

– وقعت اصطدامات جديدة بين الشرطة وعمال المناجم في فرنسا .

٢٠ – قررت اللجنة السياسية لهيئة الامم تأجيل بحث قضية فلسطين .

– نشبت ثورة عسكرية في كوريا .

٢١ – استرد المصريون مدينة بئر السبع بعد ان احتلها اليهود .

– اقر مؤتمر رؤساء وزارات الكومنولث ضرورة التسلح لمواجهة خطر الحرب .

– تقرر تمثيل الزنوج في برلمان افريقيا الجنوبية .

– قبل المصريون واليهود امر هيئة الامم بوقف اطلاق النار في النقب .

– انتخبت مصر عضواً في محكمة العدل الدولية .

– اعلن الدكتور سوكارنو ان الحملة على الشيوعيين قد انتهت في اندونيسيا .

– قدرت خسائر فرنسا بستة عشر مليار فرنك من جراء اضراب عمال المناجم .

٢٣ – عاد اليهود الى هجومهم في منطقة النقب .

– عقد في عمان اجتماع بين رؤساء حكومات الدول العربية .

٢٥ – استعمل الاتحاد السوفياتي حق الفيتو ضد مشروع المحايدين لحل قضية برلين الذي وافق عليه اكثرية الاعضاء في مجلس الامن .

٢٦ – ينتظر ان يقدم رئيس وزارة الصين استقالته على اثر الاندحارات السياسية التي منيت بها القوى الحكومية وسقوط تسنغ تنا وعقدة السكك الحديدية الهامة في ايدي القوى الشيوعية

– عقد مجلس الامن جلسة بناء على طلب مصر لبحث الحالة الناشئة عن استمرار اليهود في القتال .

٢٧ – رفضت اللجنة السياسية للجمعية العمومية باكثرية الاصوات الاقتراح السوفياتي الرامي الى استماع الجمعية العمومية لهيئة الامم لوجهات نظر مندوب الجنرال ماركوس بشأن القضية اليونانية .

– ارفض مجلس الامن الدولي بعد ان تكلم المندوبون العرب ، دون ان يتخذ اي قرار ما بصدد استئناف اليهود للقتال على الجبهة المصرية .

مطابع صادر ريحاني – تلفون ٦٨ – ٦٣